رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

WWW. almadasupplements.com

العدد (3255) السنة الثانية عشرة - الأربعاء (7) كانون الثاني 2015

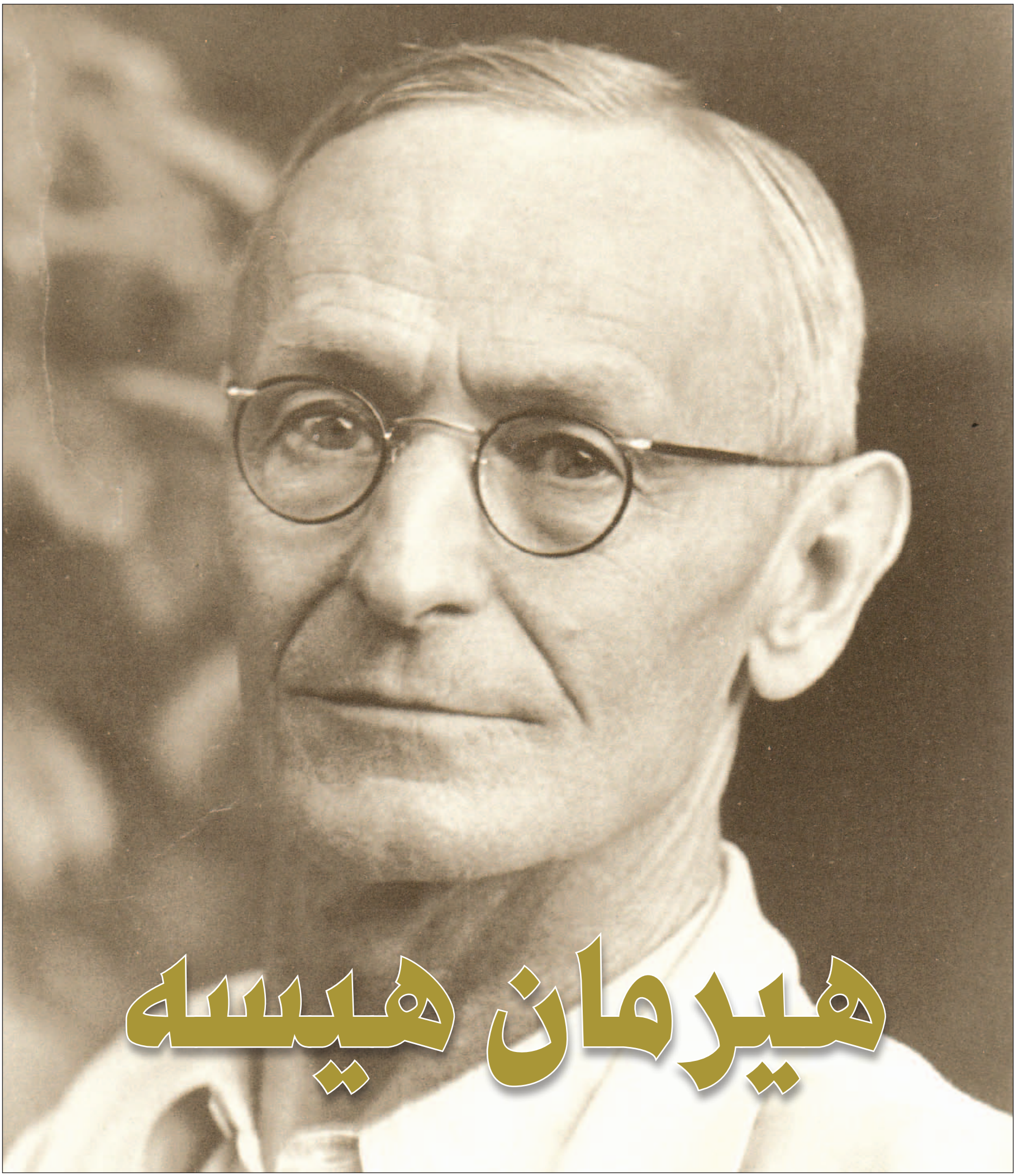

هيرمان هيسه

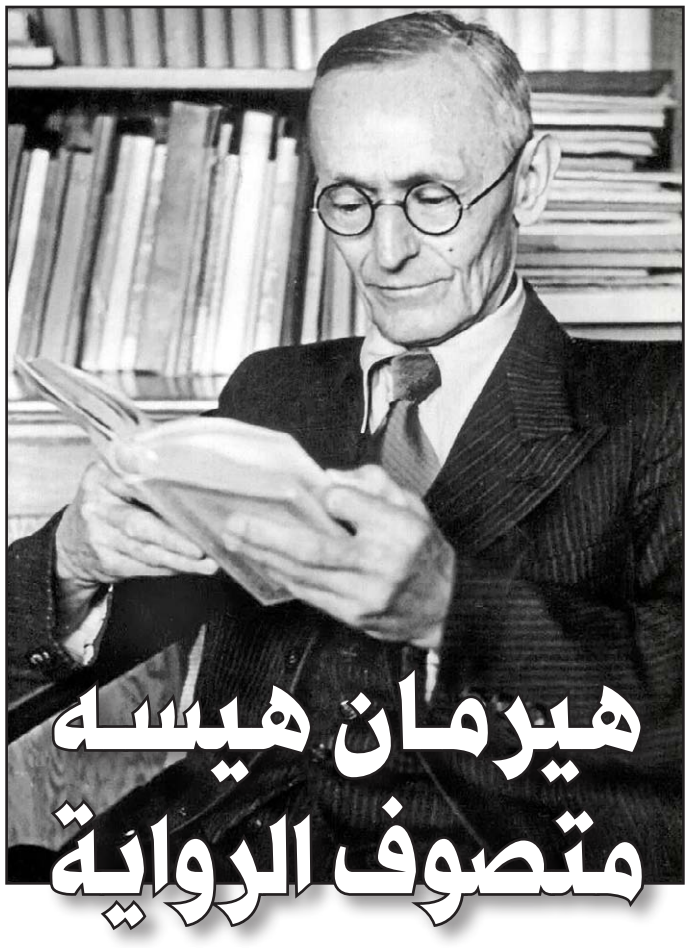

هيرمان هيسه متصوف الرواية

اعداد منارات

هيرمان هيسه (بالألمانية: Hermann Hesse) ولد في كالف في ألمانيا في ٢ آب ١٨٧٧ وتوفي في مونتانيولا تيسن عام ٩ أغسطس ١٩٦٢؛ وهو كاتب سويسري من أصل ألماني، عاش بداية شبابه مع عائلته المحافظة وجوها المدافع عن البروتستانتية بشكل مفرط؛ وكان هذا السبب الذي دفعه للهرب والاستقلال عن السلطة العائلية والاعتماد على نفسه والانخراط في مجال العمل وبشكل قاسي، حيث بدأ عمله ساعاتيا ثم بائع كتب في مكتبة، بعدها اتخذ التأليف والكتابة منهجا في حياته وعمله، وتزوج ثلاث مرات.

على الرغم من أن توجهه الأدبي في بادئ الأمر كان صوب الشعر إلا أنه في ما بعد ألف روايات فلسفية عديدة ومتنوعة؛ وكان يغلب على بعض الروايات طابع التفكر العقائدي المتشكك مثل روايةدميان؛ وحصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٦

كان هرمان متمردا بطبيعته , يميل إلى الخيال , ويتمسك بكل فكرة واردته, ويكون لنفسه عالما خاصا به , يتفق وميوله.وقد تمرد اول ما تمرد على البيت وجوه الصارم , ثم تمرد بعد ذلك على المدرسة.فقد دفعه والده إلى المدرسة اللاتينية (المدرسة الاولية) في كالف فبقى فيها أربع سنوات حتى عام ١٨٩٠.ثم انتقل بعد ذلك إلى جمنازيوم (المدرسةالثانوية) جوبنجن.يقول هرمان هيسه عن المدرسة في ذلك الوقت "لم أجد طوال الاعوام الثمانية التى قضيتها في المدرسة الا مدرسا واحد فقط احسست تجاه بالحب والامتنان " كانت المدرسة في نظره هى العدو الذى يهجم عليه ويريد ان يفسد عليه حياته وموهبته. كان يريد أن يندمج في الطبيعة و ان يندمج في كائناتها ليفهم حديث الزهور والحشرات والفراشات ,ويتأمل الشجرة وهى تنمو والحيوان وهو يكبر ويعيش الطبيعة.

بداهرمان يعالج الشعر وقد كتب عن ذلك يقول: " لقد تبينت بوضوح عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرى اننى أما انا أصبح شاعرا أديبا أو لا أصبح لا شيئا على الاطلاق" . وبعدما تمعق نفور هرمان من الدراسة وخروجه من المصحة النفسية التى كان بها وفيها بلغت أزمته مداها "أحساس بالعزلة رفض للدين رفض التقاليد رفض للدنيا " وبعدما فشلت التجربة الثانية التى عقبت خروجه من المصحة، صرف الاب النظر عن الدراسة ووجهه أبنه إلى العمل فعمل في ورشة لتصليح الساعان من عام ١٨٩٤ إلى عام ١٨٩٥ , الغريب أن هرمان هدأت نفسه في هذا العمل وتمكن من التغلب على مشاكله وعقده,وعرف السبيل إلى الخلاص. وفى أكتوبر من عام ١٨٩٥ انتقل هرمان إلى توبنجن للعمل في مكتبة بها. ولكن ركز أكثر جهده على القراءة وتثقيف نفسه وتطوير اسلوبه ومفاهيمه الفلسفية والجمالية. وبعدها ترك الوظيفة وحصل على وظيفة مشابهة في بازل. وفى بازل اتصل بالمؤرخ فاكر ناجل وعرفه بعدد من رجال الفكر. في مارس من عام ١٩٠١ سافر إلى إيطاليا للمرة الاولى.

في ١٧ أكتوبر من العام ١٨٩٥ بدأ هيسه العمل في مكتبة في توبنجن، احتوت على كتب متخصصة في اللاهوت وفقه اللغة والقانون.[٩] كانت مهام هيسه في المكتبة تنظيم وأرشفة الكتب، وحتى مع انتهاء فترة عمله المتكونه من ١٢ ساعة، فإن هيسه لم يترك المكتبة وكان يقضي فترات طويلة بين الكتب. درس الكتب اللاهوتية الموجودة في المكتبة ومن ثم لاحقاً قرأ لكتاب ألمانيون كبار مثل جوته وشيلر وليسنج ودرس كذلك الميثولوجيا الإغريقية. وفي عام ١٨٩٥ بدأ قراءة مؤلفات نيتشه،[١٠] الذي كانت لفلسفته تأثير كبير على معظم روايات هيسه.[١٠]

بحلول عام ١٨٩٨ كان لهيسه دخل مقبول مكنه من الاستقلال المالي عن والديه، وفي تلك الفترة ركز هيسه على أعمالالرومانسيين الألمان خاصة أعمال كلمنس فون برنتانو وجوزيف فريدرش فون أيشندروف وفريدرش هولدرلينونوفاليس. وفي رسالة إلى والديه كتب هيسه أن "أخلاقيات الفنان يمكن استبدالها بالجماليات"، مما يدل على تأثره بالفكر الرومانسي.

في عام ١٨٩٦ ظهرت قصيدته "مادونا" (Madonna) في مجلة فيينا. وفي الخريف أصدر مجلد صغير من الأشعار والأغاني الرومانسية تحت عنوان "قصائد رومانسية" ()، وكان ذلك أول مجلد يُنشر له. وفي عام ١٨٩٧ تلقى رسالة من هيلين فويت التي أعجبت بأحد قصائده المنشوره، في السنة المقبلة تزوجت هيلين فويت من ناشر صغير، والذي وافق على نشر مجموعة من قصائد هيسه لإرضاء زوجته، حملت المجموعة عنوان "ساعة بعد منتصف الليل" (١٨٩٨)، وتؤرخ كذلك إلى عام ١٨٩٩). [١١] ولكن العمل باء بالفشل على الصعيد التجاري فلم يُطبع سوى مرة واحدة فقط وبيع بصورة بطيئة، وحتى عمله الآخر "قصائد رومانسية" لم يلق النجاح فمن أصل ٦٠٠ نسخة مطبوعة في غضون عامين من نشره لم يباع منه سوى ٥٤ نسخة، إضافة إلى ذلك فقد تعرض هيسه لصدمة كبيرة عندما شعر بالرفض من امه عندما استنكرت قصائده الرومانسية.[١٢]

بدأ من خريف عام عمل هيسه في متجر لبيع الكتب والتحف القديمة في بازل. وفي عام ١٩٠٠ تم إعفاء هيس من الخدمة العسكرية الإلزامية بسبب الإضطرابات العصبية التي يصاب بها والصداع المستمر.

في عام ١٩٠١ قام هيسه برحلة إلى إيطاليا وهو ما كان يحلم به منذ وقت طويل، وفي العام نفسه قام بتغيير عمله في بازل، وفي نفس العام أيضاً حصل هيسه على فرص لنشر قصائده وأعماله الأدبية في المجلات، ووافق مالك متجر الكتب الذي بدأ يعمل عنده منذ أن غير وظيفته على نشر عمله (Hermann Lauscher).[١٣] وفي عام ١٩٠٢ توفيت والدته بعد صراع طويل ومؤلم مع المرض، ولم يقدر هيسه على حضور الجنازة خوفاً من أن ذلك سيزيد من اكتئابه.[١٤]

بسبب الإستقبال الجيد الذي حُظي به عمله السابق (Hermann Lauscher) اهتم الناشر صمويل فيشر بهيسه،[١٥] بعد ذلك مع إنهاء هيسه لروايته "بيتر كامينتسيند"، التي ظهرت أولا قبل النشر في عام ١٩٠٣، وافق فيشر على نشر الرواية وظهرت طباعة في عام ١٩٠٤، الرواية أصبحت شعبية جداً في ألمانيا،[١٦]وجلبت الشهرة لهيسه ومكنته من كسب العيش ككاتب، وأشاد بها سيجموند فرويد واعتبرها واحدة من الروايات المفضلة لديه.[١٧]

مع شهرة هيسه الأدبية تزوج في عام ١٩٠٤ ماريا برونولي (ترجع أصولها إلى عائلة برونولي المشهورة بعلماء الرياضيات[١٨])،

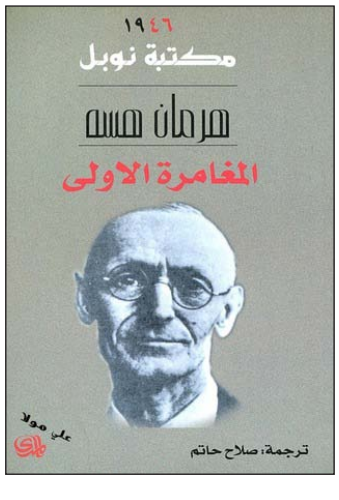

استقر مع زوجته في بلدة جاينهوفن على بحيرة كونستانس، وأسس عائلة من ثلاثة أبناء. على ضفاف بحيرة كونستانس ألف هيسه روايته الثانية "تحت الدولاب" والتي نشرت في عام ١٩٠٦. لاحقاً كتب هيسه عدداً من القصص القصيرة والقصائد.[١٩]
روايته المقبلة "جرترود" التي نُشرت في عام ١٩١٠ كشفت عن وجود أزمة في الإنتاج الأدبي، حيث أن هيسه كافح من أجل إنهائها. وفي عام ١٩٠٤ بدأت الأفكار الفلسفية لآرثر شوبنهاور تحظى لاهتمام هيسه من جديد، وإضافة لدراسته التصوف، كل ذلك سبب اهتمام هيسه بالبوذية والهند.
خلال هذه الفترة لم ينسجم هيسه مع زوجته ماريا، وغادر في عام ١٩١١ لرحلة طويلة إلى سري لانكا وإندونيسيا وزارسومطرة وكذلك بورنيو وبورما، إلا أنه على عكس توقعاته لم يجد الإلهام الروحي والديني الذي كان يبحث عنه في هذه الرحلة،[٢٠] وعلى الرغم من ذلك فقد تركت هذه الرحلة انطباعاً قوياً في أعماله الأدبية. ومن ثم بعد عودته في عام ١٩١٢ انتقل وأسرته إلى برن في سويسرا، ولكن تغيير مكان الإقامة لا يمكن أن يحل مشاكل الزواج كما صرح هو في روايته "روسهالده" التي نُشرت في عام ١٩١٤.
عند اندلاع الحرب العالمية الأولى تطوع هيسه للمشاركة في الحرب مع الجيش الإمبراطوري، قائلاً أنه لا يستطيع أن يجلس بجانب الموقد الدافئ بينما مؤلفون آخرون يموتون على خطوط القتال. إلا أنه لم يكن مؤهلا ليشارك بالقتال، عوضاً عن ذلك وكلت إليه مهمة رعاية أسرى الحرب.[٢١]
وفي ٨ مارس ١٩١٦ أصاب هيسه حزن عميق بوفاة والده، وضاعف ذلك إصابة ابنه مارتن بمرض خطير، وأيضاً تعرض زوجته لإنفصام في الشخصية. كل ذلك اضطر هيسه إلى ترك الخدمة العسكرية والعودة إلى تلقي العلاج النفسي والذي كان سبب لقائه بكارل يونج شخصياً. خلال ثلاثة أسابيع في شهري سبتمبر وأكتوبر من العام ١٩١٧ كتب هيسه روايته الشهيرة "دميان" والتي ستنشر في عام ١٩١٩ بعد الهدنة وانتهاء الحرب تحت الاسم المستعار "إميل زنكلير".
بحلول الوقت الذي عاد فيه هيسه إلى حياته المدنية العادية في ١٩١٩ كان زواجه محطماً، حيث أن زوجته تعرضت لسلسلة من الأمراض النفسية وحتى بعد شفائها فلم يرى هيسه مستقبلا معها، وتحطمت عائلته حيث تم تقسيم منزل العائلة في برن، وأولادهم استقبلوا من قبل أقاربهم.[٢٢]
أما بالنسبة لهيسه فقد استقر بمفرده بداية من منتصف شهر ابريل من العام نفسه في كانتون تيسينو في سويسرا، وعاش هناك في بيت مزرعة بالقرب من مينوسيو في الفترة من ١٥ أبريل إلى ١١ مايو. حيث انتقل إلى بلدة مونتاجنولا واستأجر هناك أربع غرف صغيرة في مبنى أشبه في شكله بالقلعة، يعرف المبنى باسم كازا كاموزي، وهناك كتب هيسه عمله الضخم "كلينجزور في صيفه الأخير" الذي نُشر في عام ١٩٢٠، هذه البداية الجديدة في محيط جديد جلبت لهيسه السعادة، وفي وقت لاحق وصف هذه الفترة من حياته بأنها كانت الأكمل والأكثر إنتاجاً وعاطفية من فترات حياته.[٢٣] في عام ١٩٢٢ ظهرت رواية هيسه القصيرة "سدهارتا" التي أظهرت محبته للثقافة الهندية والفلسفة البوذية اللتان أثرتا عليه في فترة سابقة من حياته. وفي عام ١٩٢٤ تزوج المغنية روث فينجر وهي ابنة الكاتبة ليزا فينجر، ومع ذلك فلم يكسب هذا الزواج أي استقرار أو ثبات.
في عام ١٩٢٣ حصل هيسه على الجنسية السويسرية. وأعماله المقبلة الرئيسية تضمنت: "كورجاست" (١٩٢٥)، "رحلة نورمبيرج" (١٩٢٧). وكانت جميعها روايات سير ذاتية. ومن ثم تبع ذلك رواية هيسه "ذئب البوادي" التي نُشرت في عام ١٩٢٧. وفي الوقت الذي بلغ فيه هيسه الخمسين عاماً ظهرت أول سيرة ذاتية عنه كتبها صديقه هوجو بال، بعد نجاح روايته الأخيرة تزوج هيسه نينو دولبن وهي مختصة في تاريخ الفن وكانت زوجته الثالثة، وقد انعكس تأثير زواجه هذا في روايته القادمة "نرجس وفم الذهب" التي نشرت في عام ١٩٣٠. وفي عام ١٩٣١ انتقل هيسه مع زوجته من كازا كاموزي إلى منزل كبير بالقرب من بالقرب من مونتاجنولا، سمي ذلك البيت باسم كازا هيسه وبُني وفقاً لرغباته.
في عام ١٩٣١ بدأ هيسه يخطط لما سيصبح آخر أعماله الكبرى وهي روايته "لعبة الكريات الزجاجية"، وفي عام ١٩٣٢ أصدر روايته القصيرة "رحلة إلى الشرق"، أما بالنسبة إلى رواية "لعبة الكريات الزجاجية" فقد نُشرت في عام ١٩٤٣ في سويسرا. وفي عام ١٩٤٦ تلقى جائزة نوبل في الأدب.
شاهد هيسه صعود النازية إلى الحكم باهتمام وقلق. وفي عام ١٩٣٣ ساعد كل من توماس مان وبرتولت برشت في رحلتاهما إلى المنفى. وفي هذه الفترة سعى هيسه للوقوف ضد قمع نظام هتلر للأدب والفن الذي يعارض الفكر النازي. وكانت زوجة هيسه الأخيرة يهودية، وقد أعرب قبل ذلك بوقت طويل عن معارضته لمعاداة السامية.[٢٤] وانتقد هيسه لعدم إدانته الحزب النازي علناً.[٢٥] وفي نهاية الثلاثينيات تم حظر أعمال هيسه من النشر، وتوقفت الصحف الألمانية عن نشر مقالاته.
كانت "لعبة الكريات الزجاجية" آخر روايات هيسه، وخلال السنوات العشرين الأخيرة من حياته كتب هيسه العديد من القصص القصيرة معظم مواضيع تلك القصص استسقاها من طفولته، ونشر كذلك عدد من القصائد كانت الطبيعة موضوعها الأساسي في الغالب، وإلى جانب ذلك فقد كتب هيسه عدداً من المقالات الساخرة حول ابتعاده عن الكتابة لفترات من حياته، وبعد حصوله على جائزة نوبل في ١٩٤٦ تلقى هيسه عدداً هائلاً من الرسائل من الجيل الجديد من القراء الألمان الذي استكشف أعماله.
توفي هيسه في التاسع من أغسطس من العام ١٩٦٢، عن عمر ٨٥ عاماً، ودفن في مونتاجنولا في المقبرة ذاتها التي قبر فيها صديقه هوغو بال.

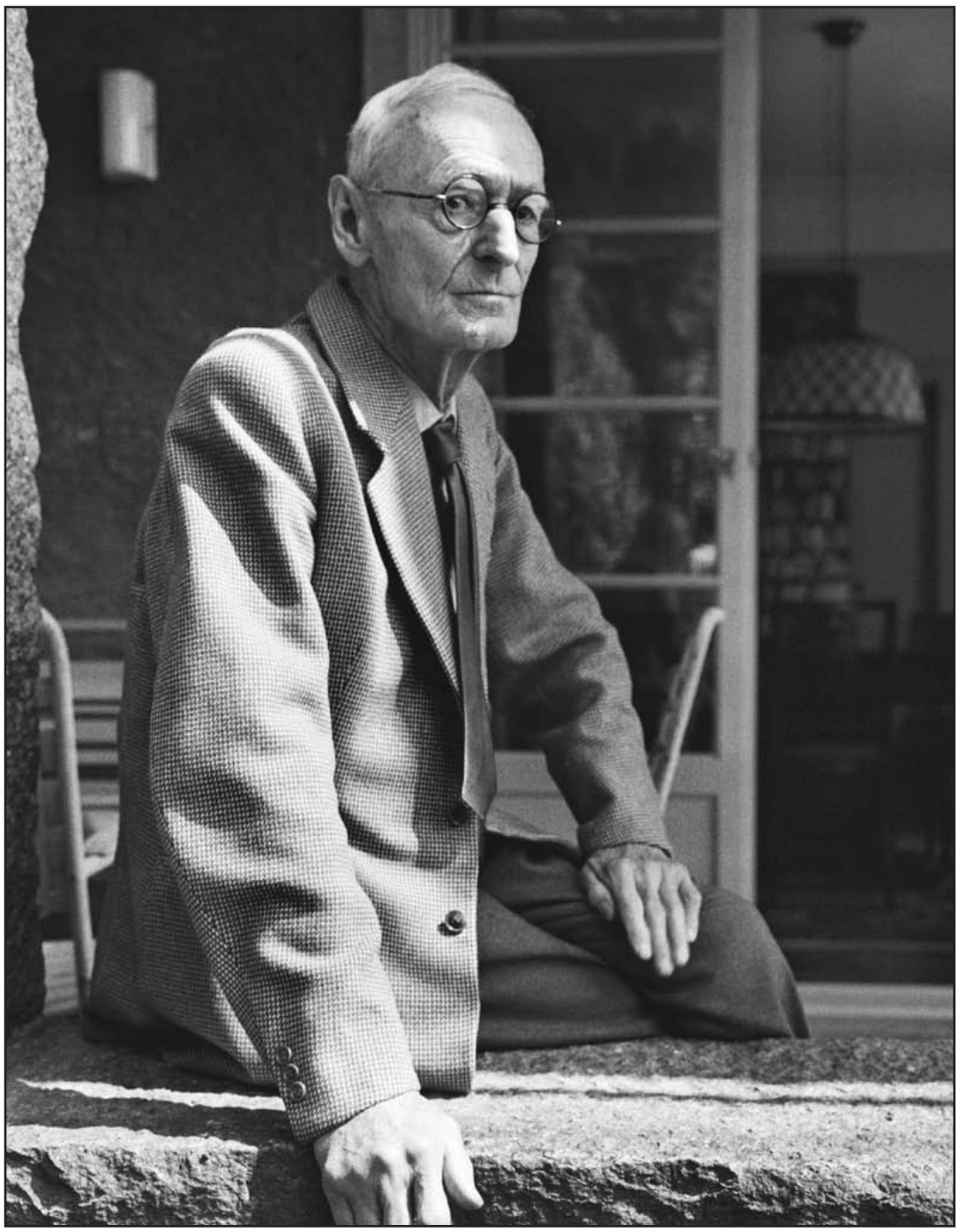

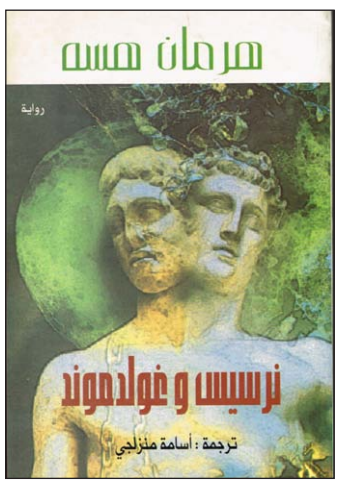

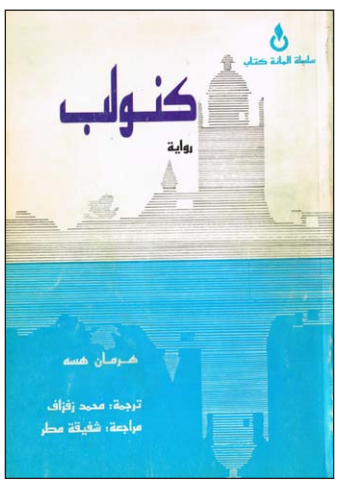

جوائز

- ١٩٠٦: جائزة (Bauernfeld).
- ١٩٢٨: جائزة (Mejstrik) لمؤسسة شيلر في فيينا.
- ١٩٣٦: جائزة جوتفريد كيللر.
- ١٩٤٦: جائزة جوته.
- ١٩٤٦: جائزة نوبل للآداب.
- ١٩٤٧: دكتوراة فخرية من جامعة برن.
- ١٩٥٠: جائزة فلهلم رابه.
- ١٩٥٤: Pour le Mérite.
- ١٩٥٥: Friedenspreis des Deutschen Buchhandels.

أعماله

بدا هرمان هيسه مشواره الأدبي بنشر مجموعة قصائد متفرقة خاصة تصدر في فيينا بأسم "دار الشعراء الالمان". وفي عام ١٨٩٩ نشر ديوانا صغيرا بأسم (أغاني رومانتيكية). وفي العام نفسه نشرت له دار اويجين ديتريش في لايبتسيج كتيبا بعنوان (ساعة بعد منتصف الليل). عبارة عن مجموعة من القطع النثرية.
التالي هو الأعمال الكبرى لهرمان هيسه مرتبة حسب تاريخ الصدور:

- ١٨٩٩: "قصائد رومانسية" «Romantische Lieder» (ديوان شعر).
- ١٨٩٩: "ساعة بعد منتصف الليل" «Eine Stunde hinter Mitternacht» (مجموعة شعرية).
- ١٩٠٤: "بيتر كامينتسيند" «Peter Camenzind» (رواية تربوية)
- ١٩٠٦: "تحت الدولاب" «Unterm Rad» (رواية).
- ١٩١٠: "جرترود" «Gertrud» (رواية فلسفية).
- ١٩١٤: "روسهالده" «Roßhalde» (رواية قصيرة).
- ١٩١٤-١٩٤٨: "الحرب والسلام" «Krieg und Frieden» (سلسلة مقالات).
- ١٩١٥: "كنولب. ثلاث حكايات من حياة كنولب" «Knulp. Drei Geschichten aus dem Leben Knulps» (رواية تشردية).
- ١٩١٩: "دميان" «Demian» (رواية).
- ١٩١٩: "حكايات خرافية" «Märchen» (مجموعة قصص قصيرة).
- ١٩٢٠: "نظرة في الفوضى" «Blick ins Chaos: Drei Aufsätze» (سلسلة مقالات).
- ١٩٢٠: "كلينجزور في صيفه الأخير" «Klingsors letzter Sommer» (رواية قصيرة).
- ١٩٢٢: "سدهارتا" «Siddhartha» (رواية).
- ١٩٢٧: "ذئب البوادي" «Der Steppenwolf» (رواية).
- ١٩٣٠: "نرجس وجولدمند" «Narziß und Goldmund» (رواية).
- ١٩٣٢: "رحلة إلى الشرق" «Die Morgenlandfahrt» (رواية قصيرة).
- ١٩٤٣: "لعبة الكريات الزجاجية" «Das Glasperlenspiel» (آخر رواياته).
- ١٩٥٣: "قصائد" «Die Gedichte» (مجموعة شعرية).

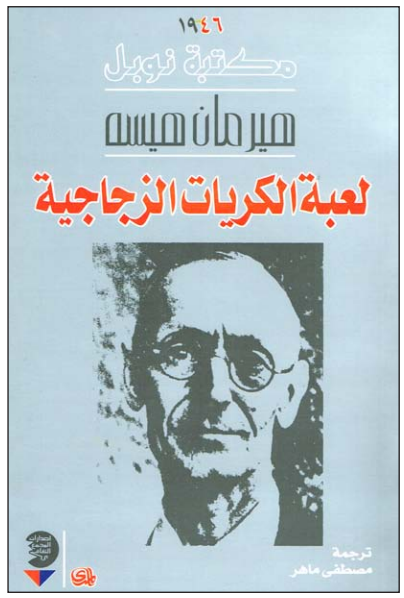

اسس هيرمان هيسه لرواية انحرفت عن المسار العام، حيث انعطفت من كيان مظهر الوجود الى حس عميق لاهوتي على طريقة اسبينوزا، وصار هناك اشباع صوفي عند هيسه وتمرد وجداني على ما يحرك الحياة من ميكانيكية، وما سد هارتا الا مثال لمنطلقات هيسه الفكرية وتماهي وجدانه صوفيا، وان كان سد هارتا محاكاة ماهرة لبوذا، لكن الخيال الخلاق لدا هيسه وهبه احاسيسه ومنطلقاته الفكرية، فتلاشت المحاكاة، وصار الراهب سد هارتا نبيا ذاتيا يحمل افكار الروائي واحاسيسه وما أن يكرس في مكان مبادىء تعارض او تقبل يغادره الى آخر.

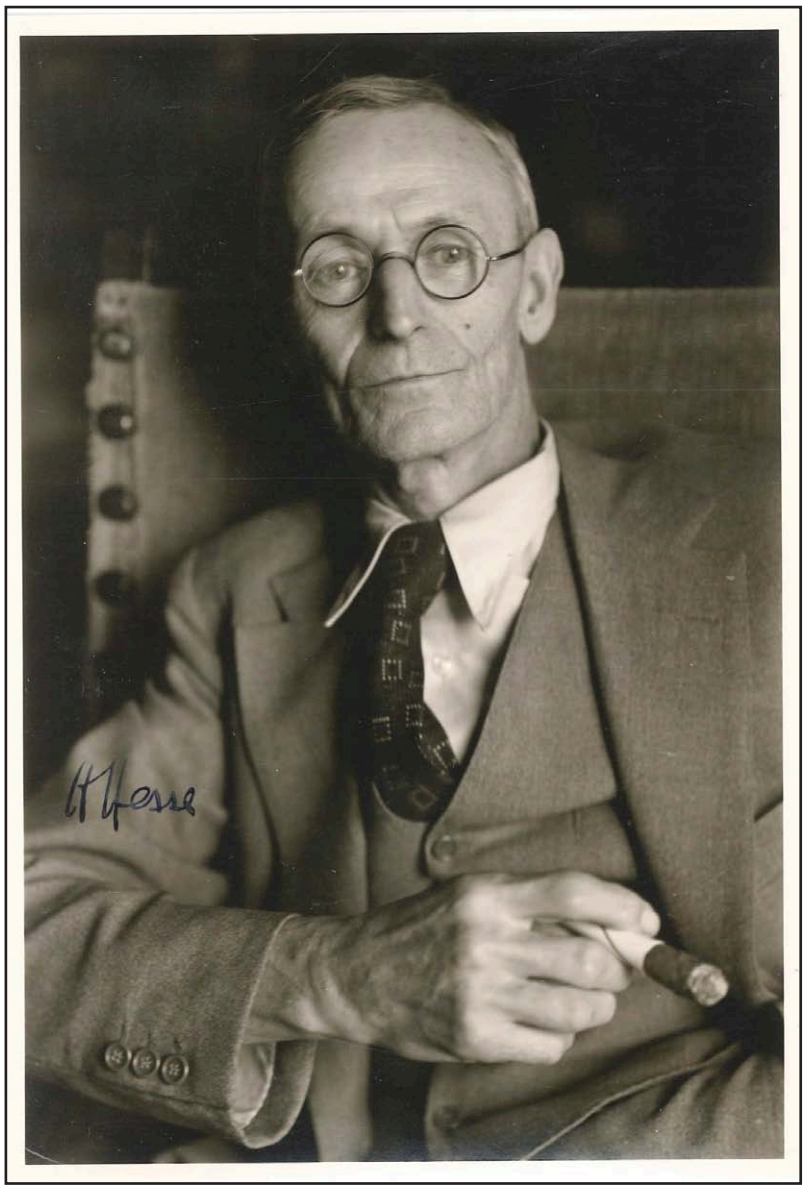

محمد يونس

العبقريـــــة والدرس الانساني..

رائعة هيرمان هيسه (لعبة الكريات الزجاجية)

وقد عاش هيرمان هيسه تقلبات مريرة ادت الى مرضه وراح يفر الى عزلة عليل لا يرى مرضه عضويا، بل يراه روحيا ووجدانيا، ورائعته لعبة الكريات الزجاجية عمل ادبي يفوق الوصف كما يفوق الوصف عمل بروست، وكلاهما لايقارن بأي عمل اخر، وملك هيسه بعد التفرد في روايته العظمى(لعبة الكريات الزجاجية)وبلغ بها اقصى درجات الاهمية من جهة انعدام التقييم لها، واقصى حدود التكامل الجمالي، ولا اظن ان روائيا عالميا قنع او وافق أن يقارن عمله برواية هيسه العظمى، فهي فلسفة رياضية تتكامل معماريا بشكل هندسي شيق، ولا تقرأ مرة لان النتائج حتما ستكون ناقصة، وكل قراءة تجد هناك مستجدات مذهلة تفوق الوصف برزت في افق البناء الروائي المستحدث، واعتقد أن الجهد الخلاق الذي بذله هيرمان هيسه في كتابة هذه الرواية المختلفة تقنيا وعن سياقات المعطى الفكري المعهودة في كتابة الرواية، وما اشار اليه بروست في كتابه، أن عنصر الاهمية ليس من السهل بلوغه، وهو يقارن بين تولستوي الذي يراه الها جليلا في تشبيه هيبته الروائية وما بلغه تولستوي من اهمية، ويرى بلزاك رجلا من الرجال يسعى الى الاهمية، لكن العطاء الغني الطاقة الابداعية مكنه من بلوغ اقصى درجات الاهمية، وهو حاذق ونبيه وروحي التأمل لعمله، وتمكن من أن يولي بروحية الفنان اهمية قصوى لتصاعد البناء الفني نحو التكامل الجمالي، فكان كما بيكاسو لايرضى بنتيجة سريعة يخلص اليها علمه، وكما هرمان في روايته الرائعة (موبي ديك) كان هيسه باطاره الروحي رحبا، رغم ما به من اعتلال بدني، وهكذا دوستوفسكي ايضا فعندما نقل الى سجن سيبريا توقعوا أنه سيركن الى الصمت، لكن اضاف عملا رائعا الى تاريخه الحافل،وكان هيسه ليس ببعيد عن توماس مان صاحب الروائع الروائية، مثل(ال بودنبروك) وكذلك تحفته الروائية (الجبل السحري) ورغم وجود قاسم مشترك مع توماس مان لهيرمان هيسه فان اغلب روايات هيرمان هيسه تدل على عمقه الروحي وسمو تلك الروح وتماهي الوجدان النقي، وكانت كل تلك العوامل وغيرها عوامل اصالة وبلاغة نبل ونقاء، وهذا ما مكنه من الانصباب على نمط صوفي من الكتابة، ربما لو قارنه بقيم الصوفية، لن نجد من يقارن به ربما الا الحلاج، وشخصيات هيرمان هيسه رصينة وجليلة القدر، وأن عاكستها الاقدار لا تنحني، بل تبقى رحبة ومنتصبة بهيبة ورسم شخصيات من جانب هي مركب ليس سهلا، فرسم ملامح معهودة لكائن بشري هي سهلة، لكن رسم ارواح طباشيرية تمشي على الارض ليس من السهل وفرته، ومن اطار جانبي نقر بأن لولادة امه في الهند بعض التأثير في التوغل في روح المعنى الانساني، واستدراجه ليتمظهر مسرودا، ولكن تلك الموهبة التي تميزت بفطرة اصيلة، هي ليست صنعة بمعناها الحرفي ولن يجيدها أي كاتب ممن عاصروه او من كتب في السياق الروائي في المراحل اللاحقة، وقد بقي هيرمان هيسه يتامل ويتفاعل في كتابة روايته الفلسفية العميقة من سنة ١٩٣١ الى ١٩٤٢، وتلك السنوات تمخض عنها كتاب قد يجنس روائيا وقد لايجد سبيلا الى التجنيس، حيث هي ولادة عقل من رحم الالم وصراخ في زمن استبداد العسكر، وصوت العقل لايحتاج فقط الى اطر الحضارة والتمدن، فكان هيرمان هيسه كما شخصيته الثرية العطاء الروحي(كنولب)،وشعر وقصائد هيرمان هيسه عذبا وساحرا برغم الشجن ونبرة الحزن، لكن تبقى رائعته العظمى هي ثمرة ابدية، رغم طابعها الفلسفي وكونها كما شفرة بذاتها قد تتيح لمتلقي عضوي وليس من تسميه فريجينيا وولف (القارىء العادي) من بلوغ افاق هيرمان هيسه، لكن على المتلقي أن يعلم أن هيرمان هيسه هو كما شخصية رواية (ذئب البراري) ليس مصادفة الا ينتهي لا الى السعادة ولا الى البؤس، حيث كما روح هيرمان هيسه تهيم في عوالم المطلق برضا، فكان ذات الشخصية الاساس في رواية (ذئب البراري) الذي هو كائن استثنائي وهو المعادل الموضوعي لذلك الاستثناء الذي تمثل بشخصية قد حاكته لهيرمان هيسه بالحذافير، وعبر صفة الاستثناء الصوفية الطابع يكون هيسه عميقا الى الحد حتى بلوغ روحه انقى درجات النقاء، وعبر ذلك النقاء تجد الملامح الحقيقية لهيرمان هيسه، وتجد في عينيه ملامح الرهبة والخلود على السواء. ان العبقرية ليست شهادة بل موهبة عطاء، وهذا ما جعل العبقرية بعيدة نسبيا عن الدرس بكل انواعه حتى الفلسفي منه، وسياق الابداع يرتبط بالموهبة في البدء، ومن ثم يتطور في سبل الدرس العلمي وافاقه، لكن في رسم ملامح العبقرية لن تجد بصمات الا للموهبة والفطرة الاصيلة، وهذا ما كان يمكن أن يتوفر في كيان خارق هو هيرمان هيسه، ومفردة (خارق) نقصدها مضمونا، وأن هيرمان هيسه ذلك العقل الرشيد الحيوي لابد أن يحوز على تلك الصفة، وعلى الاخص في ظروف مثل فيها ذلك العقل موقفا حساسا في ظروف تنامي الاستبداد العسكري الحديث، والغريب أن ظروف كتابته رائعته الانسانية العظمى (لعبة الكريات الزجاجية تزامنت مع صعود هتلر الى افق السلطة، ولكن شتان بين تلك الروح الجليلة في ثنايا الرواية المتفردة، وبين الاستبداد العسكري الذي مثله هتلر، واعتقد أن ثمة خيط خفي في الرواية يشير الى ذلك الاستبداد والحماقة التي يتصف بها، والرواية مثلت درسا انسانيا على شكل شفرة رياضية او موشورا هارمونيا يبث نوته الموسيقية وليس كما ترسم الكلمات المسرودة واطر الوصف، ورغم نشاط الشخوص في رواية (لعبة الكريات الزجاجية)، فأنها ليست كما روايته النوفل (مذكرات شاب) في ترجمتها العربية، او (نرتيس وجولد مند) كما في الاصل الالماني، والتي كانت سرد شفافا لحياة هي ذات مرحلة من مراحل حياة هيرمان هيسه، وهي بعد ذاتي يرسم ملمحا يحاكي ما عاشت تلك العبقرية الاصيلة.

(تحت العجلة).. رواية هيرمان هيسه: تعرية لبؤس التقاليد

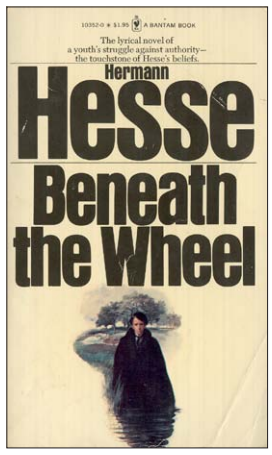

سعد محمد رحيم

يتحرك الفعل السردي لروايات هيرمان هيسه، في الغالب، في فضاء البلدات الصغيرة. ومثل هذه الأمكنة لها خصائصها المميزة على صُعد نمط الروابط الاجتماعية السائدة، والقيم الساندة لتلك الروابط. ففي البلدة الصغيرة ينفتح بيت العائلة الخاص على البيوت الأخرى، وتضيق مساحة الأسرار، ويطغي نوع من الحميمية على علاقات البشر بعضهم ببعض، وتسري الشائعات ويجري تداول الأخبار بسرعة كبيرة، ويلقى المرء اهتماماً دائماً من الآخرين فيجد نفسه مكشوفاً أمام أعينهم الفضولية. وهذا كله ينعكس على مسار الأحداث وسياقات السرد. فيما تبرز سمة أخرى تطبع روايات هيسه، يتحسسها القارئ، وهي تلك الهالة الروحانية الصافية التي تجلل لغة السرد، والبعد الروحي في تفكير كثر من شخصياته على الرغم من القلق الوجودي الذي يصاحبهم، وربما كان هذا القلق دالة على ذلك البُعد.

فضلاً عمّا ذكرنا، يغرف هيسه في بناء عالم روايته (تحت العجلة)× من تجربته الشخصية؛(وأيُّ روائي لا يفعل ذلك؟.) فقد ولد في عام ١٨٧٧ في (كالف) وهي مدينة صغيرة تقع في جنوب ألمانيا "دخل المدرسة اللاتينية عام ١٨٩٠ في كوينغن بسويسرا، وأنهى الامتحان الإقليمي للمقاطعة الخاص باختيار الطلبة للدخول إلى الدير عام ١٨٩١، ثم فصل من الدير بسبب هروبه من حلقة ماولبرون الدراسية ١٨٩٢". وما يصوره في رواية (تحت العجلة) مستمد إلى حد بعيد من تجربة حياته المبكرة هذه. وشخصية هيرمان هايلنر، في الرواية، تكاد تُطابق شخصية هيرمان هيسه نفسه (لاحظ التشابه بين الاسمين). وها هو يقول في إحدى مقابلاته عن بطل روايته هانز جيبنرات؛

"في تاريخ تطور شخصية الفتى هانز جيبنرات لعبت، إلى حد ما، دور المدين والمنتقد لكل تلك السلطات التي هزمت جيبنرات والتي كادت أن تهزمني شخصياً ذات مرة؛ المدرسة، الدين، التقاليد والسلطة".

وهانز فتى ذكي، ومميز بحسب المعايير الخاصة في البلدة الصغيرة التي يعيش فيها، فالمعلم والناظر والجيران وقس البلدة ورفاق المدرسة يتفقون على أن في هانز ما يميزه ويجعل مستقبله واضحاً وراسخاً، وهو أن يكون قساً أو معلماً أو يحصل على وظيفة مكتبية.. يتقدم لامتحان المقاطعة، حيث تختار الدولة نخبة البلاد المتعلمة، كونه المرشح الوحيد المؤهل لأداء الامتحان في هذه البلدة التي تحظى للمرة الأولى باجتياز مثل هذا الامتحان الشاق في شخص هانز الذي سيكون كما تأمل مبعث فخرها.

ينجح هانز بتفوق ويجد نفسه في دير التأهيل الديني (ماولبرون).. يتصف هذا الدير بالأبهة والفخامة والشموخ، على حد ما يذهب إليه الراوي. وفيه الدراسة مكثفة تقليدية ومملة، وتفرض إدارة المدرسة أعرافاً كلاسيكية وتقاليد صارمة في التعامل مع الطلبة.

يتعرف هانز على زملاء صفه القادمين من بلدات عديدة وأبرزهم (هيرمان هايلنر) يصفه الراوي بأنه "شخص ملفت للنظر، شاب من منطقة الغابة السوداء، سليل عائلة عريقة.. شاعر ومتذوق للأدب.. كان متحدثاً لبقاً، حيوياً.. كان مزيج فتى غير ناضج لكتلة من العواطف الجياشة والتهور، غير أنه كان ينطوي على شيء من العمق..". وهيرمان هذا سيكون له تأثيره الهائل على هانز وستكون صداقتهما مدمرة، في ما بعد، لكليهما.

يجد هانز في صديقه هيرمان نقيضه، ونصفه المكمّل، أو ربما الجزء المقموع من ذاته وقد تحرر.. صورته التي أراد أن يكونها ولم يستطع. فهانز على عكس هيرمان تلميذ نجيب، وهادئ ومجتهد، نال احترام زملائه وإعجابهم، وبطبيعة الحال باستثناء صديقه هيرمان "الطائش العبقري الذي يسخر منه أحياناً ويلقبّه بالطموح..".

ولهيرمان أفكاره ومعتقداته المختلفة عن الآخرين.. يحلّق في سموات الخيال، وتنتابه مشاعر غامضة، وينظر إلى العالم بعين ساخرة، ففي شخصه شيء غير قليل من العبثية والتمرد. فهو قد خُلق ليكون شاعراً لا معلماً أو رجل دين، لذا سيواجه مشاكل جمة في هذا المحيط المعادي الذي لا تتوافق معه روحه المشاكسة ورغباته الفوارة. وأيضاً نلمس في علاقة الشابين شيئاً من الغرابة.. هيرمان تعني له الصداقة متعة وترفاً، وينطلق فيها من مزاجيته الخاصة، فيما هانز يجد فيها "كنزاً يتباهى ويزهو به، وينوء تحت ثقله". فهذه الصداقة هي بمثابة المرآة التي تريه حقيقة ذاته المحتجبة للمرة الأولى، ربما. وكل عبارة من هيرمان كانت تهزه، وتحطم في داخله حاجزاً ما، وتضيء فيه منطقة معتمة.. كان هيرمان واحداً من أولئك الذين يصنعون الصدمات. ولا شك أن وقع الصدمة في مكان مثل دير ماولبرون يكون أشد وأدهى. فإذا كان هانز، في سبيل المثال، يعامل كتبه المدرسية كأشياء مقدسة فإن هيرمان كان يعبث بها، ويدنسها بخربشات بالقلم الرصاص.. لكن ماذا كان يريد هيرمان من هذه الصداقة بالمقابل؟. يخبرنا الراوي أن هيرمان "كان متعلقاً به، لحاجته إليه. كان يود أن يكون لديه شخص ما يثق به ويستمع إليه ويدهش له. كان بحاجة لمن يصغي إليه بصمت وتشوق عندما يتحدث أحاديثه الثورية عن المدرسة والحياة. ويحتاج أيضاً لمن يواسيه ويلقي برأسه في حضنه حين تلم به الكآبة..".

يُحدث هيرمان كسراً مدوياً في رتابة حياة الدير حينما يُقدم على ضرب زميل له لأن عزف الأخير لم يعجبه فيتلقى عقوبة الحبس المدرسي الصارمة، لكنه يقف شاحباً متحدياً الجميع من غير أن يحظى بمساندة أحد من زملائه أو مواساته بمن فيهم هانز جيبنرات؛ "أنت جبان حقير يا جيبنرات، يا للعار.. وخرج يصفر عالياً ويديه في جيبي سرواله". ومنذ هذه اللحظة يتغير مسار السرد.

بعد عطلة أعياد الميلاد ورأس السنة يطلب هانز من هيرمان أن يسامحه ليستعيدا صداقتهما،وهكذا يعودان صديقين مرة أخرى. وفي هذه الأثناء تكون أشياء كثيرة قد تغيرت، وحدث شرخ من نوع ما في نظام العلاقات.. يستدعي الناظر التلميذ هانز، وبعد بضعة أسئلة تقليدية يسأله عن صداقته مع هيرمان هايلنر، فيجيب أن هايلنر صديقه حقاً؛

"كيف تم ذلك؟ إنكما من طبيعتين مختلفتين تماماً.. أنت الوحيد الذي وقع تحت تأثير هذا الهايلنر السيئ".

تتدنى النتائج الامتحانية لهانز وترتبك علاقاته مع إدارة المدرسة، وتصيبه عدوى التمرد والعبث. ويزداد الأمر إثارة حين يبدأ هيرمان بالتحدث عن الفتيات والعلاقات الحميمة معهن. وهذا ما يعمّق إعجاب هانز بصديقه. ثم ينتهي كل شيء بطرد هيرمان من الدير بعدما فرّ منه ذات يوم. وأصيب هانز بالكآبة والمرض فعاد هو الآخر إلى بلدته تاركاً الدراسة وإلى الأبد.

يتلبس هانز شبح التفكير بالموت، ويحاول الانتحار لكنه يتردد. وفي النهاية يزول عنه، شيئاً فشيئاً، المزاج الثقيل المخدر، وتتلاشى لديه فكرة الفناء، فيتطلع ثانية إلى الحياة والطبيعة بنفس هادئة. ويطرق الحب أبواب قلبه بأصابع متأنية رافئة.. يتعرف على إيما، في موسم قطاف التفاح، في بستان يملكه أحد جيرانه، وتنعقد بينه وبين الفتاة الرقيقة علاقة صداقة، أو أبعد من ذلك. وينال منها قبلة حياته الأولى فتنتعش روحه، ويرى العالم من حوله مشرقاً ورائعاً، غير أن الفتاة سرعان ما تغادر وتتركه مع خيبة جديدة، ليموت في ما بعد غريقاً، وهو في حالة سكر؛ "يندفع بارداً، صامتاً، هادئاً مع تيار النهر المظلم المنحدر أسفل الوادي". ولكن من المسؤول عن إيصال هانز إلى هذا المصير التراجيدي.. يتهم اسكافي البلدة أصحاب المعاطف الرسمية، ويقول لوالد هانز بعد مراسيم الدفن؛

"ربما أنت وأنا أيضاً قد أهملنا أمر الصبي أحياناً".

يحاول هيسه في رواية (تحت العجلة) تعرية نظام التربية والتعليم التقليدي الذي يقضي على المواهب الحقيقية، ويجفف عندها منابع الإبداع. وفي وجه من وجوهها فهذه رواية عن الفشل، عن اصطدام عربة الطموح بجدار صلد، من التقاليد البالية البائسة، يتسبب بتحطمها.

× (تحت العجلة) رواية هيرمان هيسه.. ترجمة: نامق كامل.. دار المدى للثقافة والنشر/ دمشق ٢٠٠١.

كاستاليا.."لعبة الكريات الزجاجية" للروائي" هيرمان هيسه"

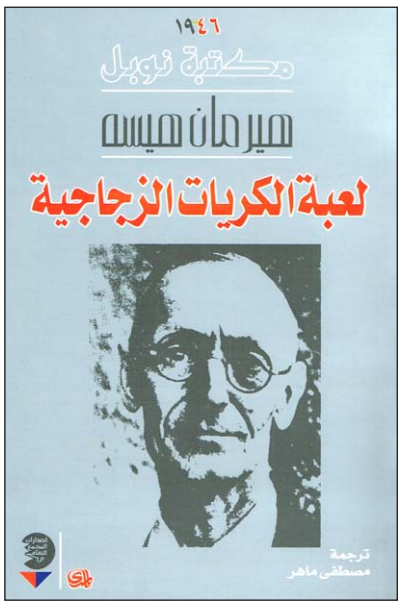

ضحى عبدالرؤوف الملا

بدأ الروائي"هيرمان هيسه"بعادات حياتنا الفكرية في كتاب ترجمه الى العربية"دكتور مصطفى ماهر"لنعيش مع"يوزف كنشت"بداية ونهاية مغامرة نستكشف من خلالها الامور الانسانية الدقيقة التي يصعب فهمها في الحياة"ذلك الانسان الذي تمكنه الطبيعة والتربية في تنمية شخصه تنمية توشك أن تكون كاملة"وهذا يقتضي معرفة المزيد من الاختبارات التي تؤدي الى الفشل او النجاح،

وفي كلتا الحالتين هي لعبة كرة زجاجية مجموعة بخيوط وهمية مع كرات اخرى، وما هذه الكرات الا الانسان الشبيه بفقاعات صابون نتأملها بفكر ندرك من خلاله جمالياتها، قوتها، بريقها، خفوتها، وهشاشتها حسيا. فالادراك الفكري هو اليقظة الاساسية في لعبة الكريات الزجاجية التي"تطورت تحت الزعامات المتعاقبة للعلوم والفنون حتى أصبحت شيئا أشبه بلغة عالمية يتمكن بها اللاعبون من التعبير في رموز ذات معنى عن قيم مختلفة."

ان منطقية الافكار في كتاب" لعبة الكريات الزجاجية" لها انعكاساتها المرتبطة بدلالات معنوية، انسانية تحتفظ بغموضها احيانا. لان كفاح العقل تحرره جواهر الاشياء الذي ينتمي اليها او بالاحرى كما يقول هيرمان هيسه في كتابه"الا مع من عرف روح الدنيا"فهل نستطيع معرفة روح الدنيا ونحن لا نعلم من امر الروح شيئا؟ ام ان كاستاليا هي حلم ما فوق الطبيعه الانسانية او القرية النموذجية المملوءة بنظريات لا يمكن تطبيقها في الحياة تطبيقا كاملا. لان التسامي فوق العالم الملموس ترفضه الطبيعه الانسانية في واقع محفوف بالسلبيات والايجابيات، ولكن تبقى الفلسفة الادراكية للحس الذي يعلو نحو الصفاء والنقاء هو من الانسانيات او من التخلي عن الماديات الملوثة للفكر الشبيهة بالاعشاب الضارة لهذا تساءل"هيرمان هيسه" على لسان يوزف"أيظل الانسان دائما ابدا يكافح الاخطاء عينها ويقتلع الحشائش الضارة نفسها"ان الفلسفة المحملة بالتساؤلات في هذا الكتاب، هي من النوع المثير للفكر. فالقارىء ينشىء نوعا من الحوارات الصامته بينه وبين يوزف، واحيانا يشعر باستفزاز لمدينة يوزف الفاضلة او الكاستالية التي يستقيل منها ليبني الانسان الكاستالي كما يشاء او الانسان الفاضل، ولكنه يموت دون تحقيق ذلك.

جعل"هيرمان هيسه" من اللعبة هدفا ومثالا لحياة نموذجية اوحى لها بمضامين تربوية اجتماعية ذات دلالة مألوفة في لعبة ما هي الا لعبة حياة. او مغامرة نخوضها منذ الولادة حتى مغادرة الحياة. الا ان طريق المعرفة المحفوف بالمخاطر قد يؤدي الى اتخاذ خطوات جريئة كتلك التي اتخذها يوزف انطلاقا من مبدأ"انه ينبغي على الانسان ان يهتم بكل شيء، لأن الانسان يستطيع تفسير كل شيء."وهذا يرتكز على البناء الفلسفي في رواية تتميز بوجوه فكرية متعددة مبهمة احيانا، وتحتاج الى تفكيك لمعاني انسانية تهدف الى بناء الانسان المثالي، الخالي من الاخطاء وهذا مستحيل لأن"رسالتنا هي التعرف على الاضداد"فاستثارة الفكر من خلال الافكار التي يطرحها كآراء وخبرات مبنية على مبادىء فلسفية بحته تهتم بالانسان وكينونته الذاتية الشبيهة بروح الموسيقى كظاهرة كلاسيكية" تعني: العلم بمأساة الانسانية وقبول مصير الانسان"فالتشابه في العناصر الحياتية يدحض اي انتقادات موجهة للانسان نفسه فالغلبة الحسية على الناحية الروحية تحتاج الى تمرينات توازن كتلك التي نتعلم من خلالها"سوناتات أندريا جابريلي لان تشكيل اللحن"المأخوذ من خط سير التطور ينعكس انعكاسا رقيقا" فهل جعل هيرمان هيسه من الانسان هدفا لبناء الحياة المعافاة من الشرور؟ وهل فعلا من ترقى زادت مهماته؟.

مذهب من مذاهب متعددة مغمورة بتفاصيل عديدة داخل رواية تجذبك لقراءة مختلفة. اذا تعصف بالمخيلة حين تتبدل معانيها بين كرة وكرة، فالاعتكاف على قراءة كتاب"هيرمان هيسه"هو استنباط لمفاهيم تتكون تدريجيا لتصل الى الذروة عند موت يوزف الذي لم يتمكن من بناء انسان"في الوقت الذي يتورط الانسان فيه في مشاكل وينحرف عن الطريق المستقيم وتشتد حاجته الى التصويب، يحس الانسان في نفسه بعزوف شديد عن العودة الى الطريق السوي والتماس التصويب الصحيح."

اتساق في الافكار وتضادها هي تكتيك كتابي اعتمده ليمنح القارىء"التوافق المتجدد بين الفكر والروح"ولكن"تضاد الدنيا والفكر"معادلة لا يمكن ان" تعتمد على الفكر وحده"لانها ستكون كرة وحيدة منعزلة وتتصف بالجرأة والخطر والعقم اذ يصعب ان تنسجم مع الافكار الاخرى او ان تتناقض معها لان"امرنا لا يقتصر على اختلاف طريقتنا في التعبير واختلاف لغتنا اختلافا يجعل من غير الممكن الترجمة من ايهما الى الاخرى." فكنه لعبة الكريات الزجاجية تحتاج لقدرات ما ورائية لا تخلو من صوفية ذات قوة روحية ومعايير لضوابط نفسية تتهادى في النفس فرسالتنا"هي التعرف على الاضداد وحق التعرف، اي هو ان نعرف انها اضداد اولا، اقطاب وحدة متحدة ثانيا، وهذا شأن لعبة الكريات الزجاجية."

ان القدرة على امتلاك معرفة اللعبة لا يتعدى النظريات التي تؤهل الانسان الى الادراك ان هذه اللعبة"لا تزيد عن أن تكون فنا شكليا ومهارة ذكية، وتركيبا لطيفا، وكان الاحرى بالانسان ان يترك هذه اللعبة ولا يلعبها، ويشتغل بالرياضيات النقية البحتة وبالموسيقى الجيدة"ولكن الا يتعارض هذا مع انسانية مشغولة بالجوع والقوت؟ ام ان"هيرمان هيسه" يزرع الافكار الايجابية والسلبية ليرتقي في كتابه ويسمو فوق قمة الحياة الفكرية؟ تلاؤم اسلوبي متوافق مع المضمون الذي يصعب فهمه احيانا ما لم نحاول تفكيك اللعبة وفهمها"لأن من احسن بمعنى اللعبة في ذاته الى نهايته، ينتهي امره كلاعب ويرتفع عن التعدد، ويفقد القدرة على التمتع بالابتكار والبناء والتركيب"وهذا هو تماما اسلوب"هيرمان هيسه" في كتابه هذا" لعبة الكريات الزجاجية"البناء والتركيب وصبها في المعايير الحسية الخاصة بيوزف وصديقه، وابنه الذي يشبه يوزف مع اختلاف زمني يصعب فهمه، وكأن الازمنة تشبه تحولات الانسان من حال لحال، فالسبب الحقيقي في التغيرات التي حصلت مع يوزف هبي الصراع الذي نشأ بين صديقه وابنه، لاحساسه بأن السبب الحقيقي لتحوله الى شخص غريب في فالدتسل، ولرغبته في الانصراف ليس هو معرفته بالاخطار التي تحدق بكاستاليا والاشفاق على مستقبلها، بل هو وجود جزءفي قلبه وفي روحه ظل خاليا عاطلا زمنا. ثم قام يطالب بحقه في العمل"

ان النزعة الفكرية في الرواية ترتكز على لاعب محصن بالعلم والجمال والتأمل. كما ان الصفاء والمرح فيه"مثل الثمرة الناضجة"المتميزة بعصارة روحية حلوة لها مذاقها الحسي، وهذا يدفع بالانسان نحو المعرفة الكاستالية المرتبطه"ارتباطا جوهريا بحالة البلاد وبإرادة الشعب"الا ان العقل العالمي هو من يقود العالم نحو الابادة والاقتتال اذ تعتمد عليه الدول التي تصنع التاريخ"كما ان التاريخ"لا يمكن ان ينشأ بغير مادة وديناميكية عالم الخطيئة والانانية والغرائز"لهذا يضعنا هيرمان امام تناقض بأن"لعبة الكريات الزجاجية لا تزيد عن ان تكون فنا شكليا ومهارة ذكية، وتركيبا لطيفا. وكان الاحرى بالانسان ان يترك هذه اللعبة ولا يلعبها، ويشتغل بالرياضيات النقية البحتة وبالموسيقى الجيدة" وفي هذا نفي لانعدام وجود الاحساس التاريخي المؤدي الى نشوء الصراعات التي من شأنها ان تؤدي الى محق الانسانية.

كتاب ذو نزعة فكرية. عابق بالانسانية وبرياضيات الحياة التي تدعو كل منا الى التأمل والتحرر حتى من الذات، ولكن لا يخلو من نزعة صوفية تميل الى تهذيب النفس، والاتجاه معها نحو ما تصبو اليه، ولكن بتفكر متزن واسلوب حياة لا نحتاج فيه الى لعبة. لان الحياة نفسها لعبة لا نعلم ما هية اقدارها او اسرارها كما نعلم سر لعبة الكريات الزجاجية. الا ان الرابط المشترك بين كل ذلك "كاستاليا" "الاسطورة" كاستاليا هي العالم، العالم الكامل المتنوع المتكامل."ولكن يبقى السؤال الاهم والذي اتى الجواب عنه تدريجيا حتى النهاية. هل يمكن لمن يتقن لعبة الكرة الزجاجية الاحاطة بالخطر القادم.ام ان الارادة اقوى من الغريزة والنداء اقوى من التحذير؟

في الروحانيـة الشرقية عثر هيرمان هيسه على البروتستانتية كما عرفها في طفولته. بمناسبـة مرور خمسين عاما على وفاته وضع غونّـار ديكر سيرة جديدة للكاتب الناجح والتي تعطي أيضاً تفسيراً لاستشراقه. أندرياس بفليتش والمزيد من التفاصيل.

ذات يـوم كتب هيرمـان هيسه يقول: "ليـس الواقع سوى سيرة ذاتيـة مختصرة، لايجوز للإنسـان أن يكـون راضيا عنها في أي ظـرف من الظروف. هذا الواقع الـرث دائما والمخيب للآمـال والمقفر، لا يمكن تغييـره إلا اذا أنكرناه، وأثبتنا أننا أقوى منـه". إن هذا التعبير عـن إزدراء الواقـع لدى الشاعـر، في ظل المعطيـات، يشير إلى دافع الهـروب الأبدي عند هيسه والى سعيه المتواصل من أجل البحث.

أندرياس بفليتش

ترجمة: سليمان توفيق

اهتم غونار ديكر في هذه السيرة الذاتية التي حملت عنوان "هيرمان هيسه، الرحالة وظله" (دار نشر هانزر، ميونيخ ٢٠١٢، ٧٠٣ صفحـة)، بهـذا الشاعر الـذي أصبح منذ زمن طويل شخصية أسطورية، بالكثير من التعاطف (ولكن من دون مبالغة) و بحيادية نقدية (لكن من دون غطرسة).

كتب ديكـر " إن صاحب قبعة القش، هذا الإنسان العاطفي، غير قابل بأي حال أن يعيش في الجماعة. يجب البحث عن هذا الطائر الراحل في مكان آخر. إنه شخص نفور وسريع الإنفعـال دائمـاً، لا يمكـن أن يتحملـه شخص آخـر- حتى زوجاته الا بتحفظ كبير. كان ينزعج من الازدحام و لا يحب الزيارات المفاجئة. بالكاد ينعم بالانسجام الداخلي، رغم أنه يستحضـره باستمرار مع غوته. حياتـه متأرجحة. مرحلة النشـوة الإبداعية تليها فترات من الاكتئاب العميق". هكذا يصـور لنا ديكـر هيسه إنسانا ممزقا دائـم الترحال، قضى حياتـه في البحث عـن الانسجـام يرافقه شيطـان التدمير الذاتي كأنه ظله.

تاريخ متأرجح

ذات يـوم كتب هيرمـان هيسه يقول: "ليـس الواقع سوى سـيرة ذاتية مختصـرة، لايجوز للإنسـان أن يكون راضيا عنها في أي ظرف من الظروف"

بـل إنّ تاريـخ أعمـال هيسـه كان متأرجحـت هـو الآخـر، يخضـع لظـروف إقتصادية متنوعـة. أما استقبـال الناس لأعماله فخضع لتقلبات الموضة الأدبية. هكذا أصبح هيسه واحـدا من أنجح الكتاب الألمان، وفي الوقت نفسه لم يؤخذ على محمـل الجـد. بعـد حصوله عـام ١٩٤٦ علـى جائزة نوبـل للآداب، لم يجـد في أمريكا النجاح علـى الفور. فقط حـين كتب سيرتـه الذاتية أصبـح "الزعيم الخفـي للحركة المناهضة لحرب فيتنام."

الفرقـة الموسيقيـة الأميركية التي أطلقت علـى نفسها اسم " ذئـب البراري" (عنـوان رواية شهـيرة لهيسه)، عبرت بأغنيتهـا "ولد ليكون بريـا" „Born to be wild" عن روح جيـل كامـل، في حـين أوصـى تيموثي لـيري بقراءة أعمالـه أثنـاء تنـاول عقاقـير LSD. إكتشـف الهيبيـون وجيـل ال ٦٨ "عنـاد هيسه وإصـراره "وأعجبـوا به، كما أعجبوا بمقته للقوميـة والوطنية، وهم الذين ساهموا في إحداث "نهضة هيسه" في جميع أنحاء العالم، التي مازالت الى اليوم السمة المميزة للكاتب.

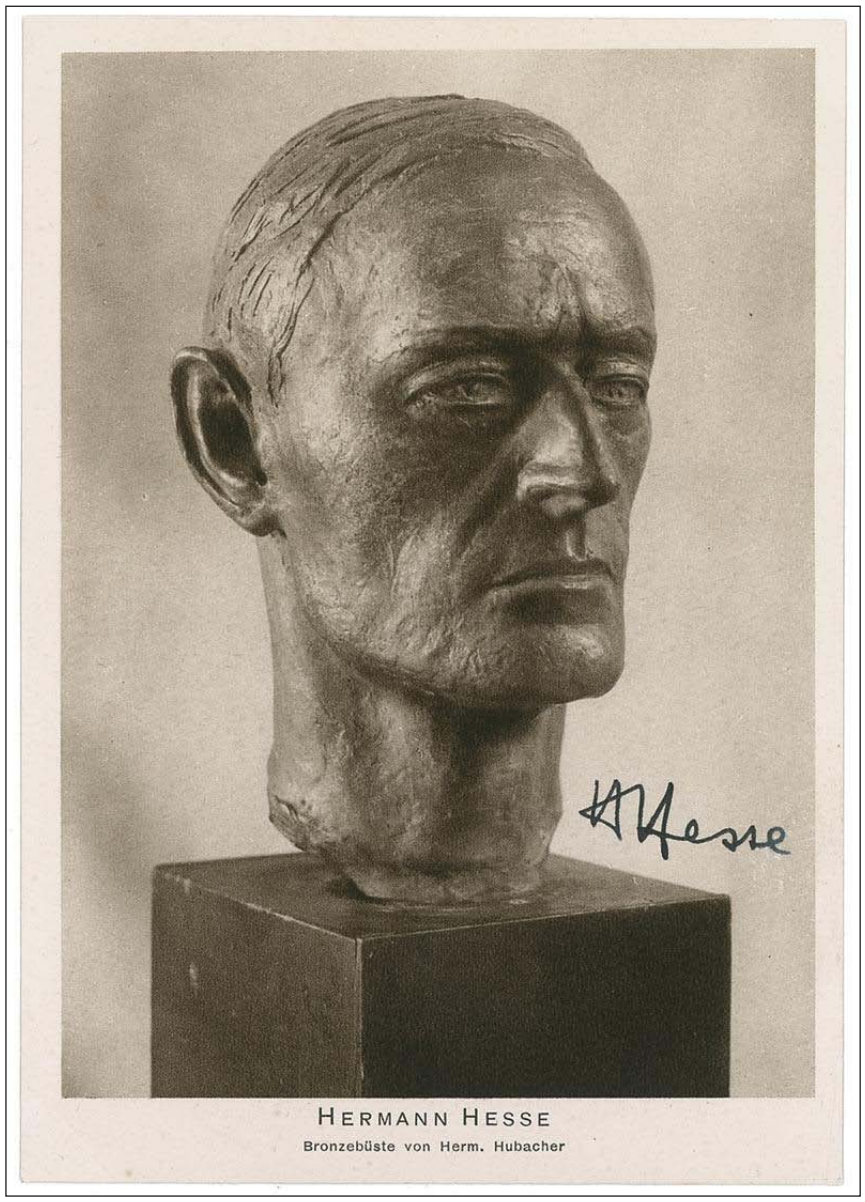

الاستشـراق عنـد هيرمـان هيسـه

نبي التحرر

في السبعينيـات أصبـح هيسـه أكثر كاتب ألمـاني نجاحا في العـالم. وبعـد خمسين سنة علـى وفاته مـازال موضع جدل. حسب ديكر، هو في نظـر البعض "ساذج ومتحمس للطبيعـة، شاعـر الفـن الهابـط، مستـواه أعلى مـن كورث مالـر بقليـل"، بالنسبة للآخرين هو نبـي التحرر وتحقيق الذات.

نشـأ في أسرة بروتستانتية من مذهـب "التقوى" معروفة بالصرامـة والتقشف بلا هوادة. عانى هيسه الذي ولد عام ١٨٧٧ في ولايـة هيسن، من الدوغمائية، ناهيك عن العيش في أفق ضيق تسيطر عليه دقة الالتزام بالوصايا و القواعد. نشأ على تربية صارمة وعلى الإنضباط و التهديد بالعقاب. كان الأدب خشية الخلاص ووعد النجاة. قرأ هيسه الشاب غوتـه وهاينه، ثم بـدأ بالكتابة. في سـن ال١٨ كان يخطط للهجـرة إلى البرازيل، واتخذ قرارا بـترك ألمانيا وأوروبا. بدلا من ذلك، أصبح متدربا في مكتبة في مدينة توبنغن.

في كلمـات هيسه الواردة أعلاه حول ازدراء الواقع شيئان متقابلان: من ناحية هي ردة فعل على الوسط التقوي الذي نشأ فيه، وفي الوقت نفسـه هي صدى لتلك المثالية الكامنة في هـذا الوسط. ميلـه الى الرومانتيكية و الغرائبية شيء، و الحـيرة القهرية شـئ آخر. يُشيد بالعنـاد و الكسل في آن معـا، لكنـه لايحققهما إلا في لحظات نـادرة. رغم هذه المثل العليـا، لا يتخلص من الشك المتغلغل فيه ولا من التحريض على النشاط. في البومة الصغيرة يكمن دائما الصفراوي.

هروب إلى الأدب

بالإضافـة إلى هروب هيسه الشـاب الى الأدب، ظهرت لديه رغبـة في الحل و الترحال. صحيـح أن مخطط الهجرة إلى البرازيـل لم ينفذ، لكن على الأقل سافـر هيسه إلى إيطاليا. في ذلـك الوقـت وفـرت مـدن بولونيـا ورافينـا وبادوفـا والبندقيـة احتياجاتـه الى الغرائبيـة. كان الجنـوب في نفس الفترة مثل المشرق يمثل الأصالة و الطبيعية، ويبشّر بعـوالم بديلة مثالية. لدا واضحا لـه أن الإنسان هناك بقي ناجيـاً من الحداثة وضغطها المحموم ومن صخب التكنيك. "هـؤلاء الناس" قال هيسه ممتدحا الإيطاليين " يتحلّون بالـبراءة وبالثقة في النفس، إضافـة إلى نمط عيش يتميز بالطبيعية والمرونة. مقارنـة بهم نظهر نحن أبناء الشمال: دمى." في وقت لاحق لعبت الهند دوراً مماثلاً مثل إيطاليا.

عـام ١٩١١ قرر هيسه اقتفـاء آثار جده هيرمـن غوندرت، الـذي كان أحـد المبشريـن في الهنـد، فسافـر إلى "الهنـد الخلفيـة"، سري لانـكا، وسومطـرة وسنغافـورة. لم تعد إيطاليـا تكفيـه. البديل الحقيقي لأوروبـا الحديثة موجود في الشرق.

في السبعينيـات أصبح هيسـه أكثر كاتب ألماني نجاحا في العالم. وبعد خمسين سنة على وفاته مازال موضع جدل لكـن حتى هنـا كانت تنتظـره الصحـوة. وكان على هيسه أن يواجـه "التجربـة البشعـة، حيث نظرة المصلـي المليئة بالروحانيـات والبحـث، لـدى معظـم الهنـود، ليست دعاء للآلهـة و الخلاص، لكنهـا ببساطـة دعـاء للمـال". البحث عـن الأصالـة لم يكـن سـوى خيبة أمـل، ولم تكـن الأديان والثقافـات، التي كان يأمـل في اكتشافها،سـوى فولكلور: "إن البوذيـة السيلانيـة". على حـد تعبيره. "هي جميلة لالتقـاط الصـور والكتابـة عنهـا في الصفحـات الثقافية. عـلاوة علـى ذلك فهـي ليست سـوى واحـدة مـن الأشكال العديـدة، المؤثرة، المؤلمة والعجيبة، التي فيها تكمن معاناة الإنسـان العاجـزة عـن التعبير عـن بؤسهـا والمفتقرة إلى لروح والقوة". الهند الحقيقية لا يمكن أن تتطابق مع الهند المرسومة في الخيال.

روح شرقية

عنمـا بـدأ عـام ١٩٢٢ في كتابـة "سيدهارتـا"، كان هيسه يـدرك أن "الهنـد البراهمنية ليست مجرد لباس" فأضاف يقـول "اللباس هنا يتجـاوز دلالة الـزي". في شكل "شعر هنـدي"، كمـا العنـوان الفرعـي للكتـاب، يحاكـم هيسـه الأزمـة في أوروبـا ويعلـن بحثـه عـن حيـاة ذات معنـى. كتـاب "سيدهارتـا" هو محاولة توليف بـين الفكر الشرقي والغربـي، كمـا يشرح الكاتـب في مقدمة الطبعـة اليابانية عـام ١٩٥٥: "نحن نعترف بأن الحكمـة الشرقية والغربية ليستا سلطتين في حالة عداء وحرب، وإنما قطبان تتأرجح بينهما حياة مثمرة".

في الروحانية المثالية الآسيوية عثر هيسه على شكل للدين أكثر راحـة، وبالتالي بديـلا للدين الذي عرفـه من والديه. "الشـرق كلـه". كتب حسب تقليد الاستشـراق. "يتنفس الديـن كمـا يتنفـس الغـرب العقلانيـة و التكنولوجيـا. وبالمقارنة مع تدين الأسيوي الحميم والمعتنى به والجدير بالثقـة، تبـدو الحيـاة الروحيـة للإنسـان الغربـي بدائية ومتروكة للصدفة".

في أثناء ذلك، كان ما وجده في الشرق قريبا من الخصوصية المسيحية في وطنه، مما لا يبدو للوهلة الأولى: لقد استبدل قواعـد مذهب التقـوى بشكل شاعري صـوفي، بالبانتيئية (مذهـب وحدة الوجود). أما النفـور التقوي من كل الأمور الدنيوية، فتحول عند هيسـه الى عداء للحداثة التي تمجد الطبيعـة و التكنولوجيا، وهذا ماقـاده فيما بعد الى حركة البيئـة. وفي النهاية كان هيسه يعثر علـى الغرب دائما في الشرق، وفي الشرق فقط.

لم يتخلص من بروتستانتية طفولته. بل بقيت مرافقة دائمة لهيسه، كما يقول غونار ديكر، "كفكرة ملازمة لحياته". في " سيدهارتـا" يختبر هيسه "النظـرة البروتستانتية عن طريـق الفكـر الشرقـي". هيسه نفسـه اعترف بـأن البديل الشرقـي لايقـدم إختصـارا للخلاص. من يقـرأ في أوروبا كلمـات بـوذا ويصبـح مـن خلالها بوذيـاً، يختـار مخرجا للطواريء بدل الطريق الذي يمكن أن يشير اليه بوذا."

عن جريدة الرياض السعودية

هيرمان هيسه .
اذا ما إستمرت الحرب

حمزة الحسن

اذا ماإستمرت الحرب . أو مذكرات في الحب والحرب والسلام . هو احد كتب الروائي الالماني الشهير هيرمان هيسه الحائز على جائزة نوبل في الرواية. وهيسه هو صاحب روايات شهيرة مثل:
×الكرات الزجاجية
× سد روهالدة
× ذئب السهوب.

ورواية ذئب السهوب كانت نبوءة مبكرة بالحرب ودعوة لمقاومتها وشجبها قبل ان تحل الكارثة على المانيا وقد حلت الكارثة وتذكر الالمان هيرمان بعد فوات الاوان.وكتاب " اذا ما استمرت الحرب" هو مجموعة مقالات ومذكرات كتبت في الفترة ما بين ١٩١٤ ،١٩٤٨، وبعضها كتب بإسم مستعار هو أميل سنكلير.وفي هذه المذكرات نعثر على الموقف الصلب والراسخ والشجاع الذي يعكس أخلاقية هذا الروائي وهو يقف ضد نزعة عارمة للحرب ويسخر من قضايا الفروسية والبطولة

والعرق والمجد وفكرة تمجيدالموت في الحرب.وهذا الموقف لم يمر بسلام على هيرمان لا من قبل السلطة الالمانية الحاكمة

في الحربين، ولا من قبل نزعة الغوغاء نحو الحرب والتدمير وشهوة القتل والانتقام المناقضة للروح الانسانية.

وعن هذه المرحلة وظروف كتابة هذا الكتاب المهدى الى ذكرى صديقه الروائي رومان رولان يكتب هيرمان في مقدمة طبعة ٤٦ قائلا: " لم يكن تجميع مادة هذا الكتاب مهمة سارة بالنسبة الى المؤلف. فهي لم توقظ ذكريات سعيدة أو تعيد الى الذاكرة صورة محببة. على العكس، فكل مقالة فيه تذكرني بشكل مؤلم بأوقات المعاناة، والصراع، والوحشة، أوقات كانت تحدق بي خلالها العداوة وغياب الفهم وكنت معزولا بصورة مريرة عن المثل العليا والعادات السارة. وكان الاصدقاء . دعاة الحرب . قد نبذوني لتوهم، وجلبت على نفسي أولى حملات الهجوم والتهديد وسيل الاهانات التي كان التقليديون ينجحون في صبها على كل من يسير وحده. ولم يكن واضحا قط ما اذا كنت سأنجو أم أتحطم إثر هذا الصراع. وقد اعتبرني الرأي الالماني الرسمي قبل ان تحرز الاشتراكية الوطنية .حزب هتلر . أولى انتصاراتها بوقت طويل، شخصا مشبوها وغير مرغوب فيه اساسا، وفي أحسن الاحوال يستحق ان يسامح. وبدءا من رواية " ذئب السهوب" التي كانت صرخة تحذير ضد الحرب القادمة، وحتى رواية "لعبة الكرات الزجاجية" تعرضت للهجوم والسخرية.لقد حاولت ان افعل ذلك حتى وانا واثق من أني سأواجه بالعداء وبالسخرية. لم تهتز احكامي قط. ودهشت انا نفسي من مصداقية ردود فعلي ولطالما فكرت في مصادر هذه الغريزة الاخلاقية والمعلمين والقادة الذين ساهموا كثيرا صياغتي "ان هذا الكتاب وان كان يعكس موقف هيرمان من قضايا الحرب والسلام والحب إلا انه شهادة صادقة وجريئة لكاتب شجاع من قضايا حيوية تمس صميم الكرامة البشرية ومنها قضية الحرب ونزعة تمجيد القتل حتى وصل الامر بالكاتب حالة السخرية من مفهوم الشهادة في الحرب، فكيف يمكن لشخص يصاب بطلق ناري في القلب وهو واقف أن يصبح شهيدا ومناضلا ورمزا، ولا يصبح الفلاح الذي يعمل في مزرعته كل يوم على هذا القدر من البسالة والشجاعة والكرم؟

في فصل" آه ياأصدقائي، ليس هذه النغمات" وهو بيت شعري مأخوذ من قصيدة الشاعر الالماني الشهير شيللر" انشودة الفرح" التي استعان بها بتهوفن في آخر سيمفونيته التاسعة، يقول هيرمان هيسه:

" إن الاخرين يسهمون في الاحداث الجليلة بحمل الحرب الى غرف مكاتبهم وتأليف أغان تحث على شن حرب وحشية أو مقالات مفرطة في التطرف تشعل الاحقاد بين الامم، ولعل هذا أسوأ الامور قاطبة. ان الرجال الذين يجازفون بحياتهم في كل يوم على الجبهة قد يكونون فريسة الاحساس بالمرارة، ونوبات خاطفة من الغضب والحقد. الامر نفسه يصح على السياسيين الفاعلين. لكن هل وظيفتنا نحن الكتاب، والفنانون، والصحافيون، أن نزيد الطين بلة؟ أليس الوضع أصلا غارقا فيما يكفي من البشاعة ويرثة له؟ ان هذه الحرب البائسة بالذات يجب أن تجعلنا أشد وعيا بأن الحب اسمى من الكراهية، والفهم اسمى من الغضب، والسلام أسمى من الحرب. وإلا فماجدواها.."

في الحرب العالمية الاولى يغادر هيرمان بلدته الى مكان آخر لكنه يعود اليها ويلقي عليه القبض بتهمة" التمشي بدون إذن" وعليه ان يدفع مبلغا من المال يعادل ألفي غولدن، وهو مبلغ ضخم، فيطلب هيرمان حبسه بدل ذلك، فيصرخ الشرطي:

.أتقول أحبسك؟ أتتوقع منا أن نطعمك؟ كلا ياصديقي.

يقول له هيرمان بإنحناءة لطيفة:

.من فضلك لدي طلب واحد، لقد أدركت أني غير متكيف مع الوضع القائم وموقفي يزداد سوءا على سوء. ألا تستطيع أن تحكم علي بالاعدام وسوف أكون شديد الامتنان ان فعلت؟!

يرد الشرطي بلطف:

.إنني أتفهمك. تحتاج الى شهادة وفاة. هل معك ثمنها؟ انها تكلفك أربعة الاف غولدن.

.كلا لا أملك هذا القدر من المال.

ويقرأ الشرطي في بطاقة هيرمان هيسه ويساله مندهشا:

.أرى انك مقيد تحت اسم أميل سنكلير الكاتب؟

يرد هيرمان: . انا هو.

قال بنبرة ودية:

.لقد قرأت مؤلفاتك وسأبذل جهدي لمساعدتك.

يسأله هيرمان:

.هل تستطيع أن تدبر لي شهادة وفاة؟

ويجيب الشرطي:

.قد استطيع. تحتاج الى بطاقة وجود، وبتوصية مني سوف يخرجونها لك. لكنها ستكون كافية فقط مدة يومين.

.هذا أكثر من كاف.

وهذا الحوار الذي يدور بين هيرمان وبين الشرطي حول الاسم وبطاقة الوجود أو الهوية الشخصية بسبب أن هيرمان هيسه كان يكتب في تلك الايام بإسم مستعار هو أميل سنكلير وبه كتب روايته" دميان". ومن حسن الحظ ان هذا الشرطي الالماني كان مدركا للتقاليد الثقافية والادبية ولم يحول الامر الى جريمة، بل عرض عليه المساعدة في تصحيح الاسم.يكشف هيرمان جوانب كثيرة من المهازل التي تولدها الحرب حيث يتحدث عن رجل عجوز توقعت السلطات المحلية موته في خلال ستة أشهر لكن حالته تحسنت الامر الذي قادهم الى فتح تحقيق معه حول نوعية الطعام الذي يأكله. حسب التشريع القذر يجب أن يموت هؤلاء العجائز الذين لا فائدة من وجودهم في الخطوط الخلفية للحرب.

وفي كانون الاول ١٩١٧ تمر مناسبة عيد

الصيف الأخير..
عن بطل هيرمان هسه

أحمد هاشم

بطل هيرمان هيسه (في رواية الصيف الأخير) رسام يعاني محنة الأنسان المعاصر،في العقد الرابع من عمرة يقضي صيفه الأخير في الأماكن التي أحبّها،الأقاليم الجنوبية في ضواحي بامبامبو.

كانيو،ولاغونو،حيث أنهى أخر رسوم له. في تلك العزلة يستنزف الشاب الرسام كل طاقاته وحواسه،يصغي الى نفسه والكائنات من حوله،وثمّة حوار،صراع،مقارنة،تحليل أو البحث عن ماهية الحياة والموت. وبحث عميق وجاد عن أدوات علّها تعينه في الأنتصار على النهاية المحتومة للأنسان،ومثل أي مبدع،تارة،تتجمع الأنكسارات والهموم التي تعمّق الحزن والكآبة بعد أن تُغلق كل الجهات فيصرخ بتناقضاته المحملة بشيء من الأمل (أشرب نخبك ايتها الأشياء الرائعة في العالم! أنا الأكثر زوالا،والأكثر أيمانا،والأكثر حزنا،الذي يعاني خشية الموت أكثر منكن حزنا جميعا). ولكن،بعد أن تخمد الكآبة ويستعيد عافيته ويطل على العالم من جهة أخرى،وأيضا،مثل أي فنان حقيقي يرى نفسه مخولا بوضع خارطة جديدة لحركة الحياة والكون،يطلق صرخته (لقد أطلقت النار على الموت بالألوان).

واستطرادا،على هكذا سلوك أو طريقة عيش، يسرف كلنكسر في شرب الخمر عندما يمتلكه الحزن والشعور بالوهن. يمضي في سبات عميق محاولا تمزيق الظلام (كل الأطفال المساكين وأنصاف الآلهة الأوغاد يشبهون كلنكسر الثمل. أيتها الحياة أحييك! وأحييك أيها الموت الحبيب!). وبعد أسابيع أو شهور من المعاناة يخرج بحفنة من الأعمال التي تتوج ذاك الصراع مستثمرته على أحسن وجه.

وثمة شخصيات أخرى في هذا العمل الروائي الرائع لا تقل غرابة عن كلنكسر،صديقه الرسام لويس مثلا، الذي تسكنه روح المغامرة والتجوال، روح قلقة، يودعه كلنكسر ويضن انه لا يراه أبدا وفجئة يراه أمامه،... يدخلا في حوارات جادة عن ماهية الرسم ومدى جدواه،ولويس هذا الذي يسكنه القلق له قابلية غير عادية للصبر والتأمل (أياما عدة كان لويس يجلس في الحقل على كرسي الرسم،في ظل شجرة كمثرى،وظل شجرة الخوخ ولم يكن يرسم،كان يجلس ويفكر، وقد أحتفظ بالورق مثبتا على حامل اللوحة، ويكتب، يكتب كثيرا يكتب رسائل كثيرة، هل ان الناس الذين يكتبون رسائل كثيرة جدا سعداء؟ كان يكتب بحماسة ونشاط. لويس اللامكترث. أحيانا تعلق عيناه بأنهماك بالورقة. ساعات في كل مرة وكان كثيرا مما يخيفه يمور في داخله،وكان كلنكسر يحب ذلك) وللويس تساؤلاته التي يتمعن بها كطريقة كلنكسر (اني في تساؤل ان كان لأمور الرسم هذه قيمة حقيقية) وشخصيات الصيف الأخير أو صيف كلينكسر الأخير التي تستنطق دواخل النفس الأنسانية رسمها بقيمة عالية ومقنعة كاتب ليس غريبا عنا،هيرمان هسة، الذي قرر مبكرا (أما أن أكون شاعرا أو لا شيء على الإطلاق).

الصيف الأخير
هيرمان هيسه
اصدارات دار المدة
ترجمة: ستار سعيد زويني

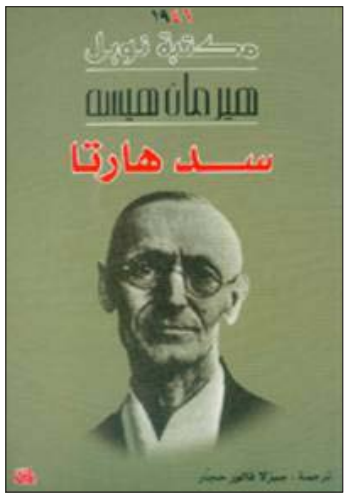

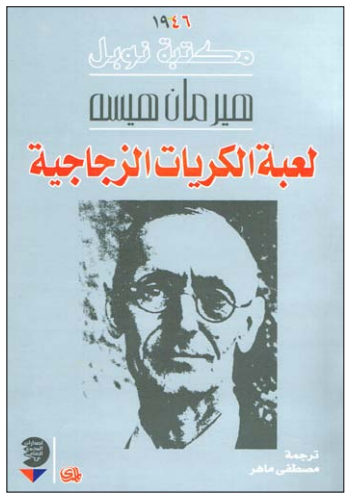

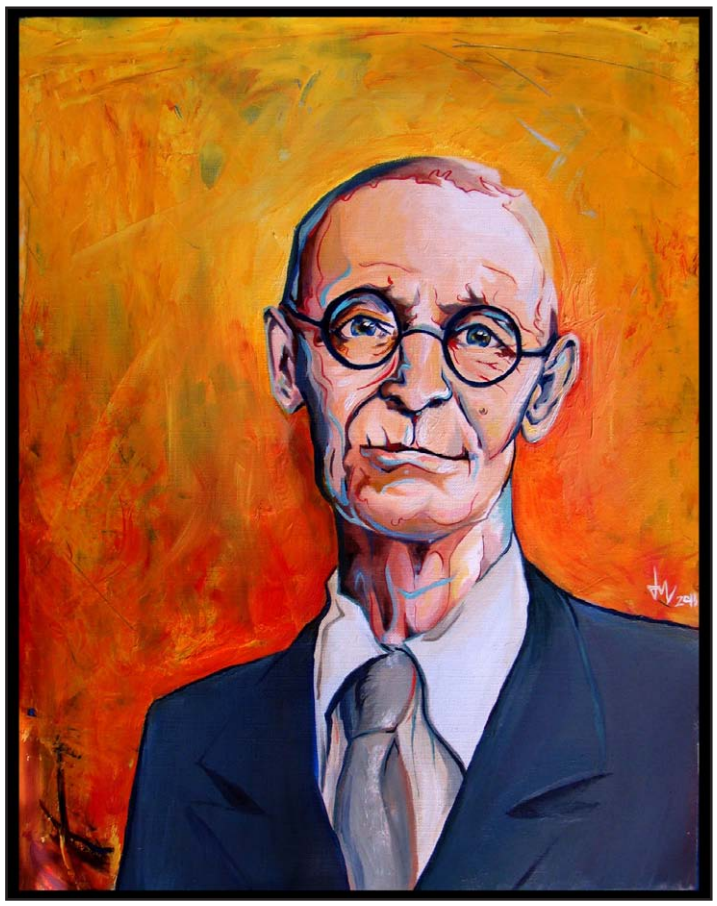

الميلاد في زمن الحرب. ان عيد الميلاد، يقول هيرمان" لم يعد بالنسبة الينا جميعا ومنذ زمن بعيد، تعبيرا عن مشاعرنا الصادقة. لقد اصبح النقيض المباشر لها. مرة واحدة في العام نتصرف وكأننا نعلق اهمية كبرى على العواطف النبيلة. ان الحب وحده يوصلنا الى الخلاص.."

وفي مقال "كلمة أولى للشبيبة الالمانية" في عام ١٩١٩، يوجه هيرمان نداءً شجاعا الى الشبيبة الالمانية فاضحا النزعة العدوانية للحرب والاهداف الحقيقية التي تقف خلفها، وكونها دليلا على انحطاط الفكر الالماني، مذكرا بفداحة المخاطر القادمة.

وفي مقالات كثيرة يؤكد هيرمان هيسه على ان الشجاعة الحقيقية هي في روح العناد والبحث عن المعنى البشري الاساسي الكامن في شرف العثور على المصير داخل الذات الانسانية، وان رحلة البحث عن الحرية تبدأ، حسب هيرمان، من العثور على المصير داخل القلب، وليس غريبا على روائي اطلع على ينابيع التصوف الشرقي كما جاء في روايته" ذئب السهوب" ان يؤكد على ان شرف الكائن البشري موجود في روحه، وان الامر لا يحتاج الى مشاركة في الحرب، بل الى العزلة. ويقول:

" اصغوا الى تلك الفكرة، اصغوا الى الصوت المنبعث من داخلكم، اعلموا ان ثمة خطرا، ثمة عطبا، انكم تسيرون على الدرب الخطأ"

في مقال كتب في عام ١٩٤٥ وفي ريجي وهو احد جبال سلسلة الالب السويسرية حيث عاش الكاتب سنوات من النفي، يتحدث عن الرسائل التي تصله من المانيا بعد الانهيار في الحرب العالمية الثانية، وأكثرها يتحدث عن بنبرة اخلاقية حزينة عن الفاجعة ويجد لنفسه مخرجا منها ولا أحد يلقي اللوم على نفسه، كأن طبول تلك الحرب كانت تقرع من قبل أشباح.

تو ارى كل اولئك الذين قرعوا طبول الحرب مرتين بعد انكشاف الكارثة وبدا الامر كله، الفضيحة كلها، الخراب كله، من صنع هتلر وحده، وظهر ما يسميه عالم النفس يونغ " الشعور الجمعي بالذنب" عند الالمان بسبب نزعة الحرب التي شوهت

وحين تداعت الامة الالمانية على حلم خاسر، ظهر هيرمان هيسه وسط الخراب، كما هو متوقع من روائي تنبأ وتوقع هذه الاهوال قبل وقوعها وحذر منها كطائر البطريق الذي يهجس بالعاصفة قبل هبوبها، ووجه خطابا شهيرا اسمه" خطاب بعد منتصف الليل" مناشدا الشعب تضميد الجراح، والخروج من الصمت، والتعود على ترديد كلمة السلام، والبحث عن السعادة البشرية من خلال رؤية جديدة تحترم الزهرة والبراءة والطفولة والموسيقى والانفتاح الهادئ على الحياة داعيا، وسط الرائحة النتنة للموت والفجيعة والخراب الى" الحب الذي يقربنا من الهدف".

اما الفصل الاخير من هذا الكتاب فهو مخصص لذكرى صديقه رومان رولان الذي وقف معه بشجاعة، دون أن يتوارى،ويدفن رأسه، كما حدث لكثيرين. تحدث في هذا الفصل عن علاقة رمان رولان بتولستوي الذي رد على رسالة من الفتى رومان دون ان يعرفه، وكان تولستوي يومها روائيا شهيرا، وهي عادته في الرد على كل رسالة تصله، حتى تلك الرسائل التي كانت تصله بغرض السخرية، فهذا هو احد تقاليد الروائي الروسي الاخلاقية التي لم يتنازل عنها حتى وفاته.

ان اصواتا كثيرة في البرية تصرخ من اجل الكرامة البشرية وكراهية الحرب ومن بينها، يذكر هيرمان هيسه، تولستوي، وغاندي، ورومان رولان، الذين حافظوا في أحلك ساعات البشر على ثقتهم بروح الانسان.

الحوار المتمدن

هيرمان هيسه... في الضباب نبأ وفاة صديق

قيس مجيد المولى

يكشف شعر هيرمان هيسه عن لغة بسيطة تمثل اللغة المتداولة والتي تقترب من اللغة الشعبية المغناة، ورغم أن هيسه ليس من رواد الحداثة إذ عده النقاد أحد الشعراء المهمين ضمن الرومانتيكيين الجدد، ويتصف شعر هيسه بالنزعات الإنسانية ولاشك أن للحرب العالمية الأولى ومآسيها الأثر الكبير في صقل شخصية هيسه الشعرية التي كانت تبحث عن السلام والاطمئنان الروحي وسبر أغوار الطبيعة. لقد انتج في مجال الشعر مايقارب من أحد عشر مجموعة شعرية وكان القاسم المشترك بينهما الإحساس بسلبية الإنسان أمام الموت – اليأس – الفراق – الأحلام الغامضة – الحزن) ولعل مسميات هذه المشاهد قد عاشها حين انخرط أثناء الحرب في أعمال الصليب الأحمر وقدمت له تلك التجربة وظروفها الطقوس الروحية الملائمة التي سعى بها لكشف تجربته تلك التي تلازم بها عنصري الروح والعقل وكان قد سبق له ودرس اللاهوت وعمل ٠في اعمال حرة وبسيطة منها (بائع كتب – حرف يدوية..)ولكن تجربة هيسه القصصية والروائية قد طغت على تجربته الشعرية بل شكلت له فارقا مابين المسارين إذ إستوعبت تجربته القصصية والروائية ماكان يريد نقله من تلك المخاضات التي ولدتها الحرب العالمية الأولى ومابعدها من إرهاصات ثقافية وأجتماعية وأقتصادية، وعند الحديث عن تجربته الروائية تكون روايته (لعبة الكريات الزجاجية) من أهم منتجه الروائي حيث قدمَ في هذه التجربة ذلك التآلف بين الشرق الروحي والغرب الصناعي وكان له أن دوّن سيرة ذكرياته في قصته (تحت العجلة) والتي كتبها عام ١٩٠٦ ولعلها مقدمة لعطائه الشعري والقصصي والذي إمتد خلال الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات حتى وفاته في عام ١٩٦٢،

ولاشك وكما ذكرنا أن إتجاهات هيسه الشعرية تختلف مع جيله من الشعراء الألمان المحدثين ومنهم (رينية ماريا ريلكة – هانز كاروسا – جنتر ايش..)كونه مثل الأدب التقليدي الألماني.

إن هيرمان هيسه يتحرك في شعره ضمن المناطق الشائعة والمألوفة على صعيد المكان والزمان والتجارب الذاتية الشخصية وتلك المستقاة من الحوادث وكأنه يسعى لتأرخة الإنفعالات النفسية والتحولات الفكرية وحالات التأمل عبر ذلك الفراغ الذي تركته الحروب وكان لألمانيا حصة الأسد منه، فهو لايصف الأهوال والدمار من خلال وقائعها أي لم يعتن بالمشاهد المادية بقدر إهتمامه بالفوران الروحي المعبر عن الإجحاف الذي يشعر به الإنسان من وجوده:

يقول في إحدى قصائده (نحن نحيا..)

نحن نبتهج بالوهم وبالزبد
نشبه عميانا بلا دليل
نبحث جاهدين في الزمان والمكان
عن شئ
لانجده
إلا في الأبد
نحن نرجو
النجاة والخلاص
في عطايا الحلم التافهة
بينما نحن ألهة
ونشارك بنصيب في مبدأ الخليقة

إن لغة التشاءوم قد سادت أو قد تسيدت المناخ الشعري لهيسه ولاشك أن القارئ يكتشف هذه اللغة من العديد من قصائده من (عند سماع نبأ وفاة صديق و (في الضباب) و (فناء) فهيسه يستحضر مدلولات ذلك التشاءوم تارة من خلال الريح وأخرى من سقوط أوراق الأشجار وأخرى من خمود النجوم وكل تلك الأوصاف توصله لمقصده عبر اللغة التي ذكرنا في البدء مواصفاتها، ورغم هذا المدخل صوب القنوط واليأس فقد حفلت قصائد أخرى له بالموضوعية لكشف المناطق المتقاربة مابين الأخلاقي والجمالي، فقد عززت تجاربه تلك تجواله في الهند لتقصي السحر في الشرق الأقصى البعيد وهي تجربة حافلة بالمشاد المرئية والسمعية وبها إستذكار ما حيث أن والدته التي كانت زوجة لأحد المبشرين الذين ذهبوا للتبشير بالمسيحية في الهند وحين نتذكره روائيا فلا لاشك عند تذكرنا (اللعب الزجاجية) لابد من التذكير بروايته الأخرى (نارسيس وجولدموند) التي تميز بها هيسة بأسلوبه الروائي الجديد الحافل بالإغراءات وذهول التوقع، والى حد ما غزت تلك الرشاقة قصائد أخرى له فيها من حسن الإستخدام العاطفي وحسن اللغة

مايكفي لإثارة المشاعر:

ماأغرب التجوال في الضباب
ما من شجرة ترى الأخرى
كل شجرة تقف وحيدة
حين كانت حياتي لاتزال مضيئة
كل العالم عندي ملئ بالأفراح
والآن
حين يسقط الضباب
لا أحد عدت أراه
حقا
لايعد حكيما
من لايعرف الظلام
الذي يفصله عن الجميع
ماأغرب التجوال في الضباب
مامن إنسان يعرف الأخر
الكل وحيد

لقد كان تأثير هيسه واضحا فيما تركه من أعمال قصصية وشعرية على الأجيال الأدبية اللاحقة والتي إعتبرت نتاجه الأدبي في الشعري والقصصي مقدمة جديدة للدخول الى عالم المعنى الجديد الذي يرتكز على البناء النفسي للإنسان وحقيقة وجوده التي أكمل متابعتَها في ذئب البوادي.

معالم المخيلة من خلال سيرة هيرمان هيسه الذاتية عن طفولته

عبد الباقي يوسف

تعتمد مراحل الطفولة على المخيلة خاصة في السنوات الأولى التي يعجز فيها الطفل عن النطق، ويبدأ لسانه بتعلم الكلمات. بعد ذلك يلازمه الخيال بسبب أنه يعجز عن القيام بما يقوم به الكبار، لذلك يتخيل أنه يفعل ما يعجز عن القيام به في الواقع.

هنا قد يستعين الطفل بشيء من الكذب عندما يترجم هذا الخيال إلى كلمات يقولها لأبويه، أو لأخوته، أو لأقربائه، أو لبعض الأطفال من الجوار، أو المدرسة، ومرحلة الكذب التخييلي هذه يمكن أن نلاحظها على الطفل بعد الثانية عشرة من عمره، وهنا علينا أن نميز بين الكذب وبين الخيال، فهو مثله مثل كاتب القصة، يعتمد على المخيلة كي يبدع، الكذب هنا بالنسبة للطفل هو شكل من أشكال الإبداع.

من هنا كان الاهتمام بتوجيه وتوظيف مخيلة الطفل، وكان أدب الأطفال غنيا بشذرات هذا الخيال الذي ينمي مواهب الطفل.

هيرمان هيسه

إذا نظرنا إلى كتب سير كبار الكتاب، نراهم يتحدثون عن شيء من هذا الخيال في مراحل طفولتهم. في سيرته الذاتية يتحدث الروائي / هيرمان هيسه / عن وقائع طفولته، ويبيّن كيف أن تلك الطفولة أسست فيما بعد لتكوين شخصيته الإنسانية والأدبية معاً. يتحدث في البداية عن مرحلة الطفولة، وكيف أنه كان يميل إلى أن تكون له شخصية مميزة، ويعيد سبب اندفاعه للكتابة إلى سنوات الطفولة حيث حلم بأن يكون ساحرا حتى يستطيع أن يفعل مالا يقدر عليه في الواقع، ومالم تسمح به طاقته العقلية والجسدية.

يقول : لذلك تملكتني رغبة ملحة لتغيير الواقع بالسحر وتبديله والرقي به. ثم يضيف: في طفولتي اتخذتْ رغبتي في السحر اتجاها نحو أهداف خارجية صبيانية كنتُ أود أن اجعل شجرة التفاح تثمر في الشتاء وأن تمتلئ محفظتي عن طريق السحر بالذهب والفضة، وبواسطته حلمت بشل أعدائي وبإلحاق العار بهم، ولكن بشهامة لأتوج بعدها بطلا وملكا.

ويقول : أردت أن أكون قادرا على أن أجد الكنوز الدفينة، وعلى جعل نفسي لا مرئيا، واعتبرت قدرة المرء على إخفاء نفسه أكثر القدرات أهمية، وتقت لامتلاكها بشدة.

يعترف هيسه بأن الكتابة استطاعت أن تخلصه من هذا الهاجس حينما كبر واكتشفها قائلا : فبعد أن كبرت بمدة طويلة وزاولت مهنة الكتابة حاولت مرارا أن أتوارى خلف مخلوقاتي، أعيد تعميد نفسي متخفيا بمرح خلف أسماء مبتكرة، وقد جعلتْ هذه المحاولات زملائي الكتاب كثيرا ما يسيئون فهمي ويعتبرونها مأخذا عليّ.

ويستأنف سرده قائلا : عندما انظر إلى الماضي، أرى كيف تغيرت اتجاهات هذه الرغبات السحرية بمرور الزمن وكيف حولت جهودي تدريجيا من العالم الخارجي وركزتها على نفسي، وكيف طمحت لاستبدال العبارة السحرية الساذجة وقدرتها على الاختفاء بقدرة اختفاء الحكيم الذي يرى كل ما حوله ويبقى هو غير مرئي دائما. هذا التوق الذي اصبح فيما بعد المضمون الحقيقي لقصة حياتي. يرى ثيودور سيولكوفسكي الذي قدم هذه السيرة أن هيسه سواء أكان يكتب رواية أم سيرة ذاتية ينتهي دائما إلى ما يدعوه / مملكة الروح السرمدية / التي تقيم خارج الزمان والمكان وتتجاوز الرسم فوق جدار السجن، ولو أخذنا عنوان أحد أعماله الأولى / ساعة بعد منتصف الليل / نجد أن الاختلاف الرئيسي في عقل هيسه وعمله لا يقع بين الحياة والفن أو بين الحقيقة والخيال، بل بالأحرى بين واقع الروح المليء بالمعاني والعالم اليومي الزائل الذي أطلق عليه الواقع أو الواقع المزعوم. وحالما نفهم كم هي حقيقة على نحو قوي المملكة الروحية هذه بالنسبة لهيسه، نصبح في وضع يؤهلنا لاستيعاب الاختفاء المتكرر في أعماله للحواجز الاعتباطية القائمة تقليديا بين السيرة الذاتية والرواية.

ورغم أن جميع الأعمال الكاملة لهيسه هي سيرة ذاتية إلى حد كبير فلم يكن من قبيل الصدفة انه لم يبدأ بكتابة نماذج للسير الذاتية حقا إلا في أربعيناته، وقد فعل ذلك للمرة الأولى بشكل مفاجئ كما جاءت الحقيقة على لسانه هو حيث يذكر انه أمضى سنوات قبل أن يعي كم كانت أعماله معتمدة بشكل ذاتي على ظروف حياته. كل هذه الحكايات كانت عن نفسي

في عام ١٩٢١ طُلب من هيرمان هيسه أن يحضر طبعة مختارة من أعماله، فأعاد قراءة الكثير من رواياته الأولى، أشار وهو مندهش : كل هذه الحكايات كانت عن نفسي فهي تعكس طريقي الذي اخترته.. أحلامي ورغباتي السرية وحزني المرير الذي عانيته وحتى هذه الكتب التي حين كتبتها كنت أفكر بأمانة بأنني كنت أصور مصائر غريبة وصراعات بعيدة عن نفسي. تغنيت بنفس الأغنيات، وتنفس الهواء نفسه، وعبرت عن ذات المصير، مصيري أنا. بعد هذه المرحلة سيرتب هيسه حياته على ضوء ماضيه الذي اصبح بين يدي الآخرين، وسينظر إلى وعي أعلى. أذكر أن هيرمان هيسه قد ولد في الثاني من تموز عام ١٨٧٧ وتوفي في التاسع من آب عام ١٩٦٢ هذه السيرة غطت معظم مراحل حياته وهي مهمة لتفسير أدب هذا الروائي. يتحدث في هذه السيرة الغنية عن تفاصيل حياته على النحو التالي: ولدت قرب نهاية العصر الحديث مثل عودة العصور الوسطى بفترة قصيرة تحت علامة برج الرامي.

في طالعي كوكب المشتري في حالته الواعدة حدث مولدي في ساعة مبكرة من مساء يوم دافئ من شهر تموز، فقد أحببت وبحثت طيلة حياتي وبلا وعي عن حرارة تلك الساعة من ذلك المساء وحين لا أجدها كنت أفتقدها بشدة فلم أتمكن من العيش في بلدان باردة، وكانت جميع رحلاتي الاختيارية تتجه نحو الجنوب، ومع أني استسلمت فيما بعد وبشكل لا رجعة فيه إلى إغواءات العالم الغبي حتى أني عاقبت حواسي بشدة وأهملتها لوقت ما، إلا انه رافقتني دائما خلفية هذا الانغماس الحسي المرعي بعناية فائقة، وخصوصا فيما يتعلق بالنظر والسمع، ولعبت دورا حيويا في عالمي الفكري حتى لو كان يبدو مجردا، وهكذا فقد زودت نفسي كما ذكرت بقدرات معينة كي أواجه الحياة.

سكينة الشيخوخة

ما يميز سيرته هنا أن كاتبها هو رجل يكتب في مرحلة سكينة الشيخوخة، ويبيّن مفهومه عن الطفولة، وهي قريبة إلى حد كبير من الاعترافات الكبرى وأحيانا يتحدث بأسلوب الحكيم الطاعن في السن لأبنائه وأحفاده مثال ذلك ما ورد في نزيل في منتجع. يقول: / ألسنا موقنين أن قدرنا هو أمر غريزي لا مفر منه إلا ننتشبث رغم ذلك بشكل عاطفي بوهم الاختيار والإرادة الحرة، ألا يكون اختيار المرء لطبيب يعالج أمراضه، ولحرفة يمتهنها، ومكان لسكناه، وانتقائه لعروس أثيرة على قلبه وهو ذات الأمر، وربما أوفر نجاحا لو ترك التصرف للصدفة المحضة؟.

ألم يختر الشيء نفسه، ألم يكرس قدرا كبيرا من العاطفة والجهد والعناية لكل هذه الأمور وهو يفعل ذلك بسذاجة مؤمنا بحماس طفولي في قوته الذاتية ومقتنعا بأنه يمكن أن يكون للقدر تأثير عليه أو من المحتمل أن يقوم بهذا بدافع الشك مقتنعا في أعماقه بعبث جهوده، ولكنه في الوقت نفسه موقن أن العمل والجهد والاختيار وعذاب النفس هي أفضل وأكثر حياة وأكثر جاذبية، أو على الأقل أكثر متعة من التحجر في الاستسلام بإذعان/.

إن الطفل وهو يترك العنان لمخيلته كي تشطح به، إنما يتخيّل ما يعجز عن القيام به، وهو لايقصد الكذب، لأنه لايؤذي أحداً بما يقول، بل قد يقصد النفع لنفسه، أو لغيره. هنا علينا أن نميز كثيراً بين كذب الأطفال، وبين الخيال الإبداعي عند الطفل.

يقول تولستوي إنه كان منذ نعومة أظفاره يسعى إلى القراءة، وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره كان قد قرأ كتاب / ألف ليلة وليلة / وتأثر ببعض الحكايات التي أغنت مخيلته مثل حكاية الأربعين حرامي، وحكاية الأمير قمر الزمان. كما عبّر بلزاك عن إعجابه المبكر بحكايات ألف ليلة وليلة، وعندما كبر حلم أن يكتب ألف ليلة وليلة الغرب، حتى يعبر من خلال تلقائية طفولية عن مدركات الإنسان، وعن مصادر قوته، ونقاط ضعفه كما تعلم من حكايات ألف ليلة وليلة.

في قراءة / روسو / لرواية / ديفو / يتجاوز لوك نحو تقييم الطفل بمعايير المشاعر، الطفولة أشياء عديدة، هي زمن للإكتشاف وميدان للمغامرة.

بعد ذلك ظهرت شخصيات جديدة مثل ستيفنسون في عمله / جزيرة الكنز / في القرن الثامن عشر لإثارة مغامرات الزمن ما قبل الصناعي، وأصبح تاريخ كتب الناشئة يعيش على محاور الجزر والقارة وارتباطاتها.

كان لابد من ظهور نموذج جديد مع المجتمع الصناعي يقف على مفهوم الأسلوب كما حصل في رسائل لورد شستر فيلد لابنه غير الشرعي. لقد برزت اللياقة بصفتها مفهوما اجتماعياً، يتجلى ذلك في كتاب / اليام المدرسية لتوم براون / وأهم الاختراعات التي جعلت الأحداث تعاش في الزمن الحاضر هي التلغراف في أواخر العقد الرابع للقرن التاسع عشر، وأصبح توماس أديسون شخصية محببة للأطفال. إن هذه الثقافة العلمية ولدت الصحف والكتب والمجلات التي غذت مخيلة الفتيان.

إن أطفال الماء، وفتيان الغابات والرجال القردة، ملؤوا المخيلات خلال الفترة الممتدة من طباعة / أصل الأنواع / لداروين إلى تأسيس الحركة الكشفية عام ١٩٠٨، تلك الفترة التي امتدحها النقد الأدبي بصفتها / العصر الذهب لأدب الأطفال /. إن أهمية داروين لتاريخ أدب الأطفال تكمن في طريقة رواية سيرة حياته، وذكريات طفولته، وعلاقته المعقدة والشديدة التأثر بأجداده.

كان داروين يثير السرور والخوف شأن جميع كتاب القصص الخرافية للأطفال. وكما علق داروين على تخيلاته الصبيانية، فإن / كنفسلي / لاحظ أن الإنسان يخترع قصصا. إن أثر داروين يكمن في هذا الرجحان بين الحقيقة والخيال.

إن قراءة كتب السيرة تضع القارئ أمام مخيلة الطفولة التي استطاعت أن تقدم هذه الشخصيات المهمة في التاريخ الإنساني.

عن الحوار المتمدن

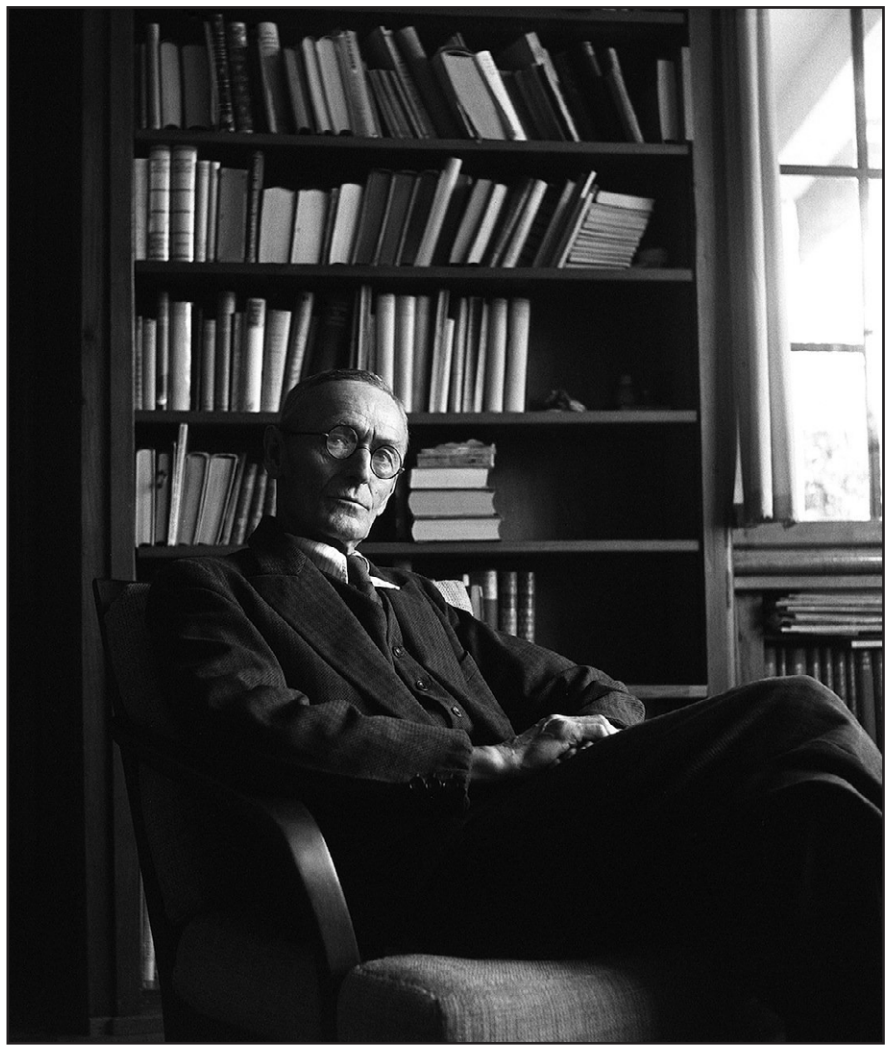

حين ظهرت، عام ١٩١٩، الطبعة الأولى لرواية "دميان"، كانت تحمل اسم مؤلف مجهول تماماً لدى الأوساط الأدبية الألمانية: إميل سنكلير. وحين قرئت هذه الرواية الألمانية، على نطاق نخبوي ضيق أول الأمر، تبين أن الشخصية الأساسية فيها تحمل اسم "المؤلف" إميل سنكلير. أما دميان فهو اسم شخصية ثانية. والرواية تحكي لنا بلسان سنكلير نفسه حكاية طفولته وسنوات شبابه حتى سن الجامعة. ثم خصوصاً حكاية العلاقة المتينة التي قامت بين سنكلير ودميان. والحقيقة أن هذه العلاقة هي موضوع الكتاب. المهم أنه، بعد سنوات، من صدور هذه الرواية، تبين أن مؤلفها لم يكن إميل سنكلير، بل هيرمان هسّه، حتى وان كان اسم إميل سنكلير ليس غريباً عن الحياة الثقافية الألمانية، فهو اسم حمله شخص حقيقي كان صديق الشاعر نوفاليس. وكان هيرمان هيسه معروفاً بحبه الكبير لهذا الشاعر، ومن هنا اختار لنفسه، في الرواية وعلى غلافها هذا الاسم، وربما كي يسبغ على الشخصية الأخرى دميان، سمات تجعله يبدو شبيهاً بنوفاليس نفسه.

"دميان" لهيرمان هيسه: القول الحكيم في الزمن الصاخب

إبراهيم العريس

من هنا اعتبرت رواية "دميان"، منذ كشف اسم كاتبها، نوعاً من سيرة ذاتية له، خصوصاً أن هيسه عاش في صباه وشبابه، حياة تشبه الى حد بعيد حياة بطله إميل سنكلير، حتى وإن كان ثمة فروقات تاريخية وجغرافية كثيرة بين ما عاشه وما جعل سنكلير يعيشه. لكن المسألة ليست هنا في هذه التفاصيل، بل تحديداً في نمط العلاقة التي عاشها بطل الرواية مع دميان، الذي كان رفيقاً في صفه يكبره ببضع سنوات، لكنه تمكن من أن يجعل من نفسه مثالاً أعلى في حياة سنكلير وفي توجهاته الفكرية. وعلى هذا النحو، صارت الرواية أشبه برواية تعليمية، على النمط الذي كان يتقنه كبار الكتّاب الألمان خلال القرن التاسع عشر.

> بالنسبة الى النقاد الألمان أتت الرواية، حتى حين كان يعتقد بأن إميل سنكلير هو مؤلفها، سيرة ذاتية وتعبيراً جوانيا عن حياة عاشها شخص ما. ولاحقاً اعتبرت رواية درامية "وجودية" إذ بدت أكثر تعبيراً عن يقظة بطلها وراويها على الحياة وعلى الذات، منذ دخل عهد المراهقة وحتى سنواته الجامعية. إذ بعد كل شيء بدت الرواية كتأريخ لتطور ذلك الفتى وتحوله، "من الطفولة الى البلوغ" و"من البراءة الى الخبرة" و"من الاتكالية الى الاستقلال". ولكن أكثر من هذا وذاك، من حس الانتماء التقليدي الى الطبقة الوسطى وحياتها المريحة الامتثالية، الى واقع الإحساس بقوة الذات والقدرات اللامتناهية للروح الفردية. ولعل هذا البعد هو البعد الأساسي في العمل. خصوصاً أن هيسه، بعد كل الصفات التي يسبغها على دميان، يقف في صف بطله وراويه وحين يصل الى ذروة الانتفاض على تقليديته وحين ينتفض ذات لحظة على دميان نفسه. والرواية تبدأ حين يكون إميل سنكلير في سن العاشرة، ليرتبط من فوره برفيقه في الصف دميان، الذي طوال السنوات التالية سيكون الشخص الأكثر تأثيراً عليه: سيعلمه أفضل مما تعلمه المدرسة، وسيصقل شخصيته أكثر مما صقلتها أسرته أو المجتمع، وسيعزز له ثقافته في شكل غير متوقع. ولم يكن هذا بفعل الصدفة، أو لمجرد أن إميل شاء أن ينظر إليه على هذا النحو، إذ إننا، ومن خلال كلام سنكلير وفي مجرى الرواية سنكتشف نحن القراء، بالتدريج أن لدميان من العلم والثقافة والثقة بالنفس ما يفوق سنه بكثير. والأهم من هذا، حس التمرد العقلاني الذي يسم هذه الشخصية، ثم رغبته الدائمة في أن ينقل هذا كله الى رفيقه الصغير. وهكذا تعمل شخصية دميان وثقافته، الى جانب رغبة سنكلير الذي يشعر على الفور بالمغناطيس الذي يملأ شخصية دميان، دوراً رئيسياً في العمل على صقل شخصية هذا الراوي، الذي سيكتشف ونكتشف نحن معه، إن ما قاده إليه دميان إنما كان في المقام الأول التعرف الى حقيقة الضوابط الاجتماعية الامتثالية التي "ليس همها إلا أن تكبح جماح رغبتنا في المعرفة والحرية"، على اعتبار أن هاتين هما الطريق الأسلم لتحقيق الذات في الوجود. وفي كل لحظة يبدو دميان كأنه يُعلّم سنكلير

أول ما يعلمه أن المعرفة من دون حرية ستكون عبئاً على متلقيها، وأن الحرية من دون معرفة لا تفيد شيئاً. إذاً، إذ يوضح دميان لرفيقه الصغير هذه المسألة منذ البداية، يصبح أكثر سهولة على سنكلير أن يجابه كل التقاليد التي تحاول أن تكبله، وأن تفتّح عيناه على قوة الفرد وقدرته غير المدركة من دون معرفة متراكمة على ضبط إيقاع حياته. أما العلاقة بين دميان وسنكلير والتي لن تسلم من القطيعة بين الحين والآخر –، فإنها ستصل الى ذروتها، حين يتم القبول، به وقد أضحى طالباً جامعياً، عضواً في حلقة من المثقفين والفنانين الطليعيين، يترأسها دميان نفسه ولكن، شراكة مع أمه السيدة إيفا. والحال أن هذه السيدة تلعب في الرواية، كما في حياة سنكلير نفسه دوراً أساسياً لا يقل أهمية عن الدور الذي يلعبه ابنها في حياته. ومن هنا ما يقوله عنها سنكلير ذات لحظة من أن "نظرتها تشبه تحقيق الوعد، وترحيبها يجعل المرء يشعر وكأنه عاد الى ديار بعد غيبة طويلة".

طبعاً يلاحظ القارئ هنا أن ليس ثمة أحداث تروى في هذه الرواية. وبالفعل هي تخلو من الأحداث الدرامية الكبرى، ومن الانعطافات، اللهم إلا إذا حسبنا لحظات القطيعة بين الصديقين لحظات درامية كبيرة. غير أن ما يلفت النظر هنا هو أن الكاتب تعمد دائماً أن ينتزع من تلك اللحظات دراميتها، جاعلاً من لحظات عودة الود والرفاقية بين الصديقين، لحظات شديدة العادية، غير جديرة بوقفات صعبة أو استثنائية. ذلك إننا هنا أمام مجرى حياة يسير عبر الصفحات قاطعاً السنين بهدوء إنما بعمق. ولعل ما يمكن التساؤل حوله هنا، هو كيف تمكن هيرمان هيسه، من أن يسبغ كل هذا الهدوء وهذه الرزانة على نص كتب عام ١٩١٩، في وقت كانت ألمانيا تضج بهزيمتها خلال الحرب العالمية الأولى، وتعيش شبيبتها صخباً وعنفاً نعرف انهما هما اللذان قادا الى انتصار النازية خلال السنوات التالية. كيف كان له كل هذا الهدوء كاتب في الثانية والأربعين من عمره، ويعيش ذلك الزمن؟ والحال ان مثل هذين السؤالين ما دفع هيسه الى أن يضع على غلاف الرواية اسم إميل سنكلير بوصفه مؤلفاً لها، مع علمه بأن الكتاب لو حمل اسمه منذ البداية لكان انتشر أكثر. ذلك أن هيسه كان قبل ذلك قد نشر عدداً لا بأس به من رواياته الكبرى، حتى وإن كان الزمن أبكر من أن يسمح له بكتابة وإصدار رواياته وكتبه الأساسية التالية، من "سيدهارتا" الى "ذئب البوادي" الى عمله الأخير والأروع "لعبة الكريات الزجاجية". غير أن المنطق يفرض علينا أن نقول هنا إن "التيمات" الأساسية لأعمال هيسه الكبرى، إنما نجدها ماثلة في "دميان" لا سيما تيمات مثل النور الروحاني والازدواجية المطلقة والغنوصية والحلولية، وكلها أبعاد هيمنت دائماً على أدب هيرمان هيسه، حتى جعلت من المنطقي حصوله على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٦.

> ولد هيرمان هيسه عام ١٨٧٧ في فورتمبرغ، ومات في سويسرا، التي أمضى القسم الأخير من حياته حاملاً جنسيتها، مقيماً فيها، عام ١٩٦٢. وهو مال الى الأدب باكراً، لكن هذا الميل تعزز لديه، وأخذ أبعاداً أخرى منذ قام برحلة كبرى الى الشرق الأقصى، أنتجت لديه بين ما أنتجت روايته الكبرى "سيدهارتا". وهو أصدر خلال حياته عدداً كبيراً من الروايات والكتب الفكرية وكتب أدب الرحلات، واعتبر دائماً الأكثر حكمة بين الكتاب الألمان والسويسريين أيضاً في القرن العشرين.

الحياة

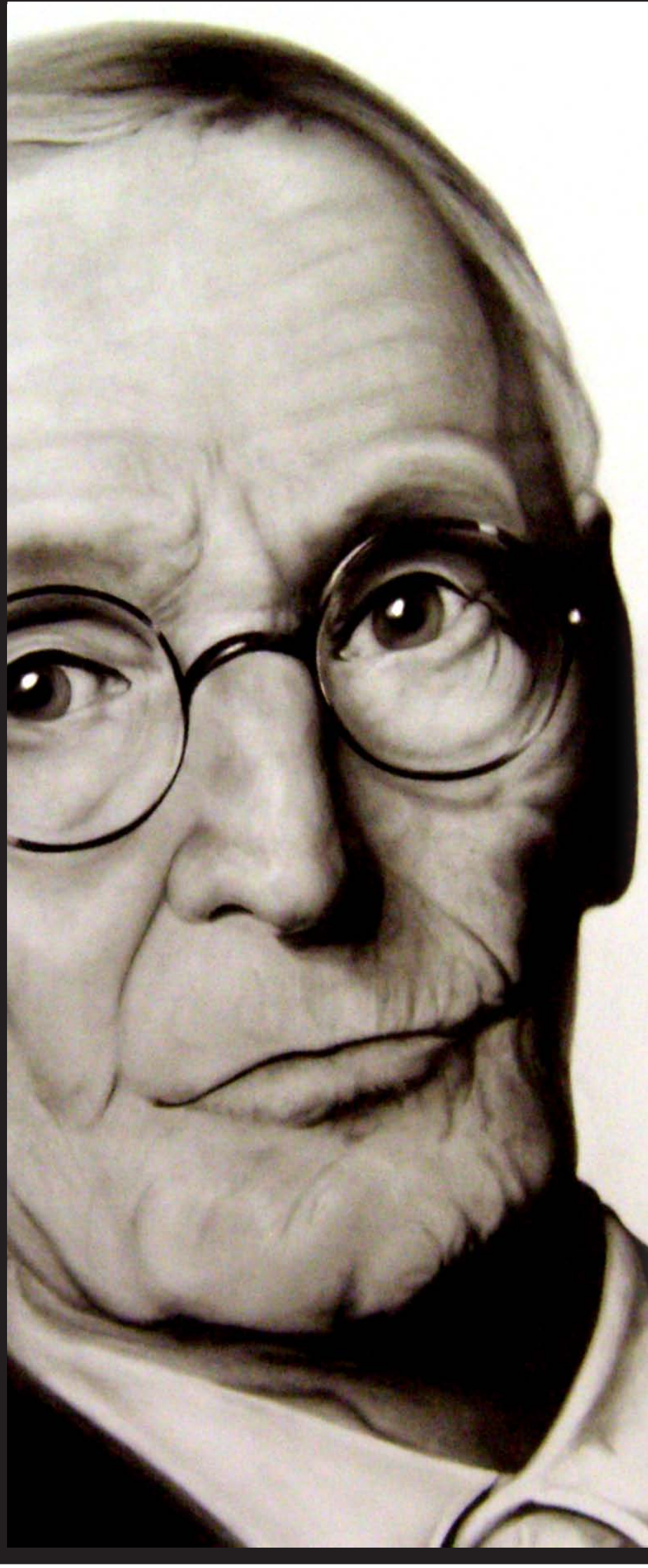

هيرمان هيسه وترجماته العربية

محمد م الأرناؤوط

كان علي عزت بيغوفيتش ١٩٢٥ – ٢٠٠٣ الحائر بين الشرق والغرب يحتاج أن يعتقل ويحاكم ويسجن حتى يصل في مكتبة السجن إلى رواية "لعبة الكريات الزجاجية" أو "سيد اللعبة" للروائي الألماني السويسري هيرمان هيسه، الذي عرف في فترة ما من حياته تلك الحيرة بين الشرق والغرب.

ويبدو من مذكرات بيغوفيتش التي كتبها خلال وجوده في السجن هروبي إلى الحرية مدى قراءته العميقة لتلك الرواية الرائعة لهيرمان هيسه واستشهاده بالأفكار الرئيسة فيها، حيث إن تلك الرواية كانت تناسب روح بيغوفيتش المتطلعة إلى البحث عن أجوبة وجودية جديدة لتساؤلاته الكبرى.

لذلك، خرج بيغوفيتش من السجن بشخصية أخرى أكثر عمقاً عمّا كان عليه، مع أن حيرته بين الشرق والغرب قد استمرت لتثمر في مؤلفاته التي كتبها مستفيداً مما قرأه في السجن "الإسلام بين الشرق والغرب" مثلاً.

كان وجود رواية مثل "لعبة الكريات الزجاجية" في مكتبة السجن في يوغوسلافيا السابقة له مدلوله، إذ إنها تتصف بالأجواء الفلسفية والألعاب الفكرية التي لا تريح الأنظمة الشمولية. وكان هيسه بدأ بكتابتها بعد صعود النازية في ١٩٣١ وأكملها في ١٩٤٢. لذلك، قُرئت باعتبارها تتضمن نقداً ضمنياً لهتلر وللنازية. من هنا، لم تدخل هذه الرواية إلى ألمانيا إلا بعد هزيمة هتلر. ولكن يوغوسلافيا السابقة، بعد طلاقها في ١٩٤٨ مع الستالينية وملحقاتها الأدبية الجدانوفية، عرفت انفتاحاً على الأدب المغاير في العالم وحتى المنشق في أوروبا الشرقية وأصبح لهيرمان هيسه نصيب إذ ترجمت معظم أعماله وعرفت رواجاً خلال خمسينات القرن الماضي وستيناته. ولد هيسه في بلدة كالف في ألمانيا في أسرة محافظة دينياً جالت بين الشرق والغرب، إذ إن والده عمل في التبشير الديني البروتستانتي وساقه ذلك إلى الهند حيث عاش هناك سنوات، وهو ما أدى به إلى التمرد على الدوغمائيات، حتى إنه يقول عن حاله "ولدتُ في نهاية القرون الوسطى" في إشارة إلى الثورة الدينية التي بدأها مارتن لوثر في ألمانيا. وفي إطار تمرد هيسه على المألوف سعى إلى العمل الحر لتكوين شخصيته الخاصة ووُفق في العمل كبائع كتب وهو ما كان يسدّ نهمه إلى القراءة، وبعد نشر روايته الأولى "بيتر كامنسند" في ١٩٠٤ تفرغ للكتابة واختار للإقامة العاصمة برن ثم مدينة مونتسيالا حيث تتابعت رواياته "الطفل المعجزة" ١٩٠٥ و"جيرترود" ١٩١٠ و"كنولب" ١٩١٥ و؟"دميان" ١٩١٩ واشتهر على مستوى العالم بعد ترجمة روايته "لعبة الكريات الزجاجية" ١٩٤٣ وغيرها حتى كُرّم بجائزة نوبل للآداب في ١٩٤٦. آثر العزلة في مدينة مونتيالا السويسرية حتى وفاته في ٩ آب أغسطس ١٩٦٢.

وقد تحولت الآن ذكرى مرور نصف قرن على رحيله إلى مناسبة لاستذكار واسترجاع أعمال هيسه وترجمة مؤلفاته في العالم ومدى حضورها أو تأثيرها. وفي الواقع بدأ الاحتفاء بهيسه منذ بداية العام تقريباً في العالم الألماني وافتتح في متحف الفنون الجميلة بالعاصمة السويسرية برن في ٢٩ آذار مارس الماضي معرضاً استرجاعياً لهيسه. وكانت أهمية هذا المعرض ليست في البدء المبكر لـ"عام هيرمان هيسه" بل في الكشف عن الجانب الريادي له في مجال الرسم. فهيسه معروف على نطاق واسع كروائي أولاً، مع أن طموحه الأول كان الشعر وهو ما تمثل في ديوانه الأول الذي نشره في ١٨٩٩، ولكن هيسه عرف خلال إقامته في برن ١٩١٢ – ١٩١٩ اهتمامه بالرسم للتعبير عن روحه القلقة. يقول في قصيدة له بعنوان "فرح الرسام": "أرى بعيني ضرباً آخر من الأشياء يواصل الحياة".

وفي العربية لا بد من ذكر الترجمة الرائعة لـ"لعبة الكريات الزجاجية" التي أنجزها مصطفى ماهر وصدرت عن دار المدى دمشق ١٩٩٨ ثم في ٢٠٠٦ في سلسلتها "مكتبة نوبل" واهتمام الكاتب الراحل ممدوح عدوان، الذي عُرف أيضاً بتعدد اهتماماته بترجمة أعماله إلى اللغة العربية. فقد ترجم عدوان ثلاث روايات له "الرحلة إلى الشرق" و"سدهارتا" و"دميان ؟ قصة شباب إميل سنكلير". وقد اهتم به أيضاً الروائي والناشر الياس فركوح فأصدر له في دار منارات – عمّان الروايات التي ترجمها عدوان إضافة إلى نصوص شعرية ونثرية بعنوان "تجوال" من ترجمة طاهر رياض ١٩٩٠، وهي التي أعاد نشرها في ١٩٩٩ بعد تأسيسه دار أزمنة. وقد تميزت هذه الطبعة بكونها احتوت على ١٣ لوحة من رسوم هيسه تعطي فكرة عن المسار الفني لهيسه أيضاً.

في الذكرى الخمسين لرحيل هيسه تبدو المفارقة بين حضوره في العالم الألماني ألمانيا والنمسا وسويسرا والعالم الأوسع. فمع أنه كان بعد غوته يتمتع بأغنى قاموس للألمانية في تاريخ الأدب الألماني إلا أنه لم ينل ما يستحقه نظراً إلى الاختلاف حول فهم مؤلفاته، بينما جاءه التقدير الأوسع في العالم الأرحب. فهيرمان هيسه يعتبر الكاتب الألماني الأشهر في العالم خلال القرن العشرين بعد أن ترجمت مؤلفاته إلى الكثير من لغات العالم وبيعت من مؤلفاته حوالى ١٥٠ مليون نسخة، وتباع من مؤلفاته كل عام حوالى نصف مليون نسخة. وإذا كانت مؤلفات هيسه عرفت رواجها في يوغوسلافيا خلال الربع الثالث للقرن العشرين فإن ترجمته إلى العربية ازدهرت في الربع الأخير للقرن العشرين وشملت أمهات مؤلفاته. ولم يعد هيسه يترجم إلى العربية بل إنه يستلهم أو يستكمل أيضاً، إذ إن الروائي العراقي جميل الساعدي قام في روايته "تركة لاعب الكريات الزجاجية" بالانطلاق من النهاية المفجعة وغير المتوقعة لبطل الرواية عند هيسه ليبحث في روايته الجديدة عن أسباب تلك النهاية.

عن/ الحياة اللندنية

هيرمان هيسه رسالة ضد الحرب

ترجمة وتقديم عبد القادر الجموسي

سيظل صوت الشاعر و الروائي الألماني هيرمان هيسه صداحا جوهريا و ملازما لنداء الإنسانية التواق إلى السلم الحقيقي و الحرية اللامشروطة للكائن البشري. لا لشيء إلا لأنه ارتبط بالإنسان وعبر عن توقه الداخلي المصمم أبدا على هزم العنف و قطع شأفة الاضطهاد و الشر الكامن في نفس الإنسان ذاته.

في هذا المقال يعاود هيرمان هيسه بصفاء حسه الروائي إدانة و تشريح منطق الحرب باعتباره منطقا لا معقولا يزج بتاريخ الإنسان في حلقة الدم العبثية التي لا تزيد الكائن إلا شقاء و بؤسا و اغترابا. وفي خط موازي مع هذا النقد، يعمل الكاتب على إظهار دور الثقافة و الفن و الدين و الجمال في تطهير الإنسان وتنوير بصيرته و تثوير "الواقع الحقيقي" المنشود الذي يسوده الإخاء و الأريحية واحترام الكرامة الإنسانية.

نص المقال:

بعد قضاء يوم عمل شاق، التمست من زوجتي أن تعزف لي هذا المساء سوناتا لبتهوفن. تمكنت الموسيقى فعلا من أن تخلصني من صخب العالم الخارجي و أن تقذف بي في أحضان الواقع الحقيقي الذي نحمله في داخلنا فيمنحنا الفرح و العذاب معا، ذلك الواقع الذي نعيشه ونحيا لأجله. رحت بعد ذلك أتلو ما تيسر من الكتاب المقدس. و وقفت عند تلك الوصية الجوهرية التي تقول "لا تقتل". ومع ذلك، لم أشعر بالطمأنينة و لم أتمكن من النوم و لا من مواصلة القراءة. كنت محتقنا بالقلق والتوتر. و بينما أنا أفتش في نفسي عن مصدر الاحتقان تذكرت، يا سعادة الوزير، بعض العبارات التي وردت في إحدى خطبك السابقة. كان خطابا محكم البناء. لكنه فيما عدا ذلك كان يخلو من كل أصالة و أهمية و إثارة. باختصار كان مجرد تكرار فج لما اعتاد المسؤولون الحكوميون أن يرددوه منذ أمد بعيد من قبيل "أننا نطمح إلى تحقيق شيء آخر غير إقامة السلم و التفاهم بين الأمم و التعاون المثمر من أجل بناء مستقبل أفضل. و أننا لا نرغب في تحصيل الثروات و لا في إرواء غريزة القتل فينا. و لكن وقت التفاوض لم يحن بعد و لا مناص لنا من الإقدام برباطة جأش على خوض هذه الحرب..." إنه للحقيقة نفس الخطاب المكرور الذي يمكن، في أي وقت، أن يتفوه به أي وزير دولة متحاربة. لا بأس إذا ما أقض خطابك مضجعي هذه الليلة على الرغم من اطلاعي على خطابات كثيرة مماثلة وصلت إلى نفس الخلاصة الرهيبة من غير أن تحرك ساكنا في كياني. لكن اللوم – كل اللوم– على سوناتا بتهوفن وكلمات الكتاب المقدس الذي يضم وصايا جبل سيناء الرائعة و كلمات المخلص الوضاءة. لقد أوحت لي موسيقى بتهوفن و كلمات التوراة بنفس الأحاسيس لأنهما تنبعان في الحقيقة من نفس المورد الذي ينهل منه الإنسان الخير. و أما خطابك فهو لا ينبع من نفس المنبع مثله في ذلك مثل كل خطابات نظرائك من الحكام في كلا المعسكرين. و ذلك لأنه يفتقر إلى كل ما من شأنه أن يمنح الكلام البشري قيمته وجدواه: أي الحب و الإنسانية. فهو يبدو في الظاهر خطابا مفعما بشعور عميق بالمسؤولية تجاه شعبك وجيشه و شرفه. لكنه في العمق لا ينم عن أي إحساس تجاه الإنسانية، بل أدهى من ذلك انه يدعو إلى سقوط مئات الآلاف من الضحايا الجدد. ربما تعتبر الإحالة على بتهوفن نزعة عاطفية. مع ذلك فأنا أعتقد أنك تشعر بنوع من الاحترام تجاه الوصايا و تجاه أقوال المسيح على الأقل أمام الجماهير. أما إذا كنت تؤمن في أعمق أعماقك بأحد المثل النبيلة التي من أجلها تخوض الحرب كحرية الأمم و التقدم الاجتماعي و حقوق الدويلات الصغيرة. فما عليك إلا أن تعترف حين تعيد قراءة نص خطابك بأنه لا يخدم بأي وجه من الوجوه تلك المثل، لكونه ليس تعبيرا عن إيمان معين أو نتاجا لوعي باحتياج إنساني، بل هو – وللأسف الشديد– تعبير و نتاج معا لمعضلة حقيقية. معضلة باتت واضحة تماما تتمثل في عدم القدرة على الاعتراف بخيبة الأمل في مسار الحرب المطروق وإعادة النظر في أنجع السبل و أقربها إلى بلوغ السلام. على الرغم من أن هذه المعضلة تتقاسمها حكومات برمتها، فانه لا يمكن أن تدوم إلى الأبد، لا لشيء إلا لكون المعضلات المستعصية تحل عادة بمحض الضرورة. و سيأتي اليوم الذي يصير فيه من الواجب عليك و على أعدائك،على حد سواء، مواجهة معضلتكم هاته واتخاذ القرارات اللازمة لفضها نهائيا. إن كل الأطراف المتحاربة مصابة بخيبة أمل في مسار الحرب. و بصرف النظر عمن سيربح المعركة و عن حجم الغنائم و عدد السجناء، فان النتيجة المأمولة من الحرب لن تتحقق حتى أنه لا حل و لا قرار و لا حتى بصيص أمل يلوح في الأفق المنظور. لقد كتبت خطابك بنية إخفاء هذه المعضلة الكبرى عن نفسك و عن شعبك لتؤجل ميقات القرارات الحاسمة. و ما أشبهك في ذلك بكل المسؤولين الآخرين الذين يحوكون خطاباتهم لنفس الغاية. إن الإنسان الطلائعي أو الكاتب هما أقدر من أي مسؤول دولة على رؤية قيمة العامل الإنساني في الظرف السياسي و استخراج الدروس الملائمة منه. و هو أمر هين على من هم من طينتنا لأننا لا نشعر تحت أي ضغط بمسؤولية شخصية عن بؤس و حزن أمة معينة حين تدرك متأخرا أنها لم تحقق مرامها من الحرب و أنها خسرت آلاف الأرواح البشرية و أهدرت –عبثا– ثروات هائلة من غير طائل. لا تحسبن– سيادة الوزير– أن ذلك هو السبب الوحيد الذي جعل من المتعذر عليك الاعتراف بهذه المعضلة و اتخاذ القرار الحاسم لإنهاء الحرب. هناك سبب آخر يتمثل في كونك لا تجشم نفسك عناء سماع الموسيقى و قراءة الكتاب المقدس و الكتب العظيمة إلا لماما. لربما تبتسم الآن أو ربما تقول في سريرتك بأنك تشعر بنفسك مواطنا ممتازا أقرب من أي شخص آخر إلى بتهوفن و إلى كل ما هو نبيل و جميل. قد تكون كذلك فعلا. لكن أملي في أن تصغي – خلال الأيام القليلة القادمة – إلى قطعة موسيقية علوية و أن ترهف السمع لتلك الأصوات السرية المنسابة من منبع الديمومة المقدس، كما أرجو أيضا أن تسترق إحدى لحظات السكينة و تقرأ أمثولة للمسيح أو بيتا من شعر غوته أو مقولة للحكيم لاو تسي. ستكون تلك لحظة هامة في سيرة العالم ربما وجدت فيها تحررا باطنيا ينشرح من جرائه سمعك وإبصارك. فمنذ سنوات طوال و هاتان الحاستان منذورتان لأهداف مثالية أبعدتهما عن الإحساس بما يؤسس العالم الحقيقي و آلت إلى إغفاله و نفي وجوده. إنك تعرف مقصدي من كل هذا تمام المعرفة. فلربما استطاع شاعر كبير أو صوت التوراة أو صوت الإنسانية الخالد الذي يخاطبنا عبر الفن أن يهبوك القدرة على الإصغاء الجيد و الإبصار الصحيح. ماذا عساك تسمع أو ترى إذن؟ لا شيء عن أزمة الشغل و أسعار الفحم، لا شيء عن التحالفات والديون و تجنيد العساكر و كل ما كنت تعتبره آنفا الواقع الوحيد. سترى عكس ذلك تماما: أرضنا المكلومة الجريحة أهلة بالموتى و الميتين، خربة و منتهكة و محترقة. سترى جنودا منسيين في أصقاع عازلة مهملة عاجزين حتى عن طرد الذباب عن جراحهم المتخنة القاتلة. ستسمع آهات الجرحى و صريخ المعتوهين وحسرات الأمهات الثكالى و لعنات الآباء و العشيقات و صيحات الجوع المتصاعدة من حناجر الشعوب. إذا قيض لآذانك أن تصغي من جديد إلى كل هذه الأشياء التي طالما تجنبت سماعها، لكان عليك حينها أن تعيد فحص أهدافك و مثالاتك و نظرياتك بعقل جديد و أن تعيد النظر في قيمتها الحقيقية قياسا ببؤس شهر واحد أو حتى يوم واحد من الحرب. و إذا ما سنحت لك فرص الحياة بأن تنعم بساعة موسيقى و أن تؤوب إلى الواقع الحقيقي، حينها سيبلغ مسمعك صوت الإنسانية و ستوصد عليك باب غرفتك الخصوصية لتجهش بالبكاء المر. و في اليوم التالي ستخرج إلى العالم من جديد لتقوم هذه المرة بواجبك تجاه الإنسانية. ستنفق الأموال الباهضة و تضحي بمنصبك الوزاري عند الاقتضاء و بكل الأشياء الأخرى التي من أجلها تستمر الحروب. و بهذا ستستجيب لنداء الإنسانية المكتوم و ستكون أول سياسي يدين هذه الحرب القذرة، و أول من يعلن لرجال السياسة جهارا ما يعرفونه في صمت و لا يقدرون على الاعتراف به حتى الآن: و هو أن ستة شهور أو شهرا واحدا من الحرب يكلف الإنسانية خسائر أفدح مما يمكنها أن تجنيه في حالات الظفر والانتصار. لو كتب لهذا الحلم أن يتحقق، يا سيادة الوزير، لظل اسمك راسخا في سجل الذاكرة و لبقيت مآثرك شامخة أبدا في عيون الإنسانية أكثر من أسماء و أفعال أولئك الذين خاضوا حروبا ومعارك ظافرة.

عن/ موقع الروائي

ذئب السهوب يعوي وحيداً

ترجمة جودت جالي

كان عمل هيرمان هيسه هذا بمثابة كتاب صلوات لجيل الهيبيز (جيل الستينيات والسبعينيات رفضوا الأخلاق والتقاليد الغربية السائدة وآمنوا باللاعنف – المترجم) هو و(سدهارتا) وميوله البوذية، اضافة الى (لعبة الكريات الزجاجية) وهي رواية تنبؤية ونقدية لمجتمع غربي مقيد بترفه المذل. لأن الرواية قد أعتبرت كأي مادة للأستهلاك، من نوع صناعة الجاهز الذي يمكن أن يعتق كتنورات وودستوك الطويلة، فهذه الترجمة الجديدة لذئب السهوب هي اليوم مناسبة لإعادة اكتشاف هذا النص ولتحرير المؤلف من التصنيف الذي حبس فيه.

ولد في ألمانيا عام ١٨٧٧ وأصبح سويسريا عام ١٩٢٣ وتوفي في لوغانو عام ١٩٦٢. مؤمن بالسلام ومعارض للنازية نفى نفسه من دون أن يتنكر لألمانيا ولا أعفى نفسه من تعاستها وجرائمها.كان شاهدا واضحا ومبدعا صريحا ومحترما وقد كوفئ بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٦.

أراد والداه أن يصبح كاهنا ولكن قدره وحبه كان الكتابة فهرب من المدرسة الأكليريكية وهو في سن الخامسة عشرة، وبعد مزاولته لبضعة أعمال صغيرة وكتابته لمحاولات شعرية مقطوعة عن الرومانسية بشكل سيء أكتسب شهرة في سن السابعة والعشرين بروايته (بيتر كامينزيند). البطل الذي أتخذ الكتاب أسمه عنوانا له شاب جبلي يهجر مناظر طفولته الى المدينة المنتزعة من الطبيعة ويسكنها أناس بأرواح كسيحة وعذابات لايمكن فهمها. هذا الكتاب (المهم جدا بنظري) حسب كلمات فرويد قد وازن في صفحاته بين أزدواجيته الممزقة وأزدواجية جيرترود عام ١٩١٠.

جعل منه رفضه الذي لايلين لتفجرات الحقد المتمثلة بالحربين العالميتين سلطة أخلاقية على مثال رومان رولان وأندريه جيد وستيفان تسفايج وقد تبادل معهم رسائل معبرة عن آلام ويأس مثاليين ومراقبين على هامش عالم يتمزق، وبوصفه قارئا لأضمحلال الغرب وفكر شبينغلر بحث عن حكمة أخرى فمد بصره نحو آسيا التي كان يمت اليها بقرابة ما أذ أن أمه ولدت في الهند لأب تبشيري ومستشرق واسع الأطلاع. أن نزعات الزهد في نصوصه على مثال دميان في الرواية التي تحمل أسمه تنبذ مجتمعا ماديا تماما كما فعل هاري هالر بطل ذئب السهوب التي ظهرت عام ١٩٢٧.

هذا الشخص الذي في سن النضج و المستغرق في نشاطات أدبية مبهمة يستقر في مدينة ليس لها أسم. هناك يدون في دفاتره الصغيرة كل تناقضاته، بعده عن مجتمع غارق في المادية يصطدم بميله الى الترف البرجوازي في مزيج من ضعف الأرادة والتصميم (في داخلنا ذئب سهوب ضل طريقه، في مدن حيث الناس يعيشون حياة القطيع، لايمكن لأية صورة أن تمثل الأنسان تمثيلا أكثر توفيقا من هذه الصورة، وهو في عزلته القاسية وشخصيته المتوحشة، وقلقه، وحنينه الى وطن ضائع).

هذا المتذوق للجمال والمتقشف والعقيم في الوقت نفسه يقرر تحديد يوم أنتحاره للهرب من الشخصيات التي يشتمل عليها، الشخصيات المتنافرة والمفترسة. عندها قابل عاهرة تسخر من غرور أدعاءاته وتحاول التوفيق بين متضاداته وأن تقوده الى حقائق جسدية وروحية أقل مانوية. تظل قضية الصراعات التي تحصد روح هالر غير محددة. الروائي يختار الإضمار. (ذئب السهوب جعلتني أتعلم القراءة من جديد) هذا ما قاله متحمسا صديقه توماس مان في رسالة الى المؤلف عام ١٩٢٨.

في الحقيقة أن النص يمازج بين نبرات ومستويات شديدة الأختلاف، يوميات هالر، ذكريات الراوي، واقعية في وصف التلميعات البرجوازية الداخلية أو واقعية في هلسنة بصرية ليلية أو تهربية لختام ينفجر مثل لوحة لجورج غروتس (١٨٩٣-١٩٦٩ رسام ومصمم ألماني سخر من الحرب وصور بشاعتها في تصاميمه ورسومه، عاش في الولايات المتحدة مهاجرا -المترجم). أذا كانت تحليقات شعرية حياتية معينة تبدو أنها ذابلة زمنيا، أو مراهقة، فإنها جميعا تقريبا شيء من قبيل حلقات دخان مؤفينة، نوع من اللاواقع، رفض ليس ببعيد عنا. موزارت ينصح هالر (لابد لك أن تدرك جزء الدعابة التي تحتوي الوجود، جانب دعابته السوداء) في الختام الهذياني للكتاب.

من هذه التمزقات التي أفقدت البعض حياتهم حاك هيرمان هيسه عمله. هكذا كتب الى والد شاب أنتحر بعد أن قرأ (ذئب السهوب) قائلا (لايكفي أن نشدد على تفاهة القيمة التي تربطنا بأشياء كالحرب والتقنية وحب المال والقومية... الى آخره. بل يجب أن نكون قادرين على أستبدال عبادة الأصنام المعاصرة بأيمان ما).وهذا الأيمان عند هيرمان هيسه هو الأدب دون شك.

عن الفيغارو الأدبية

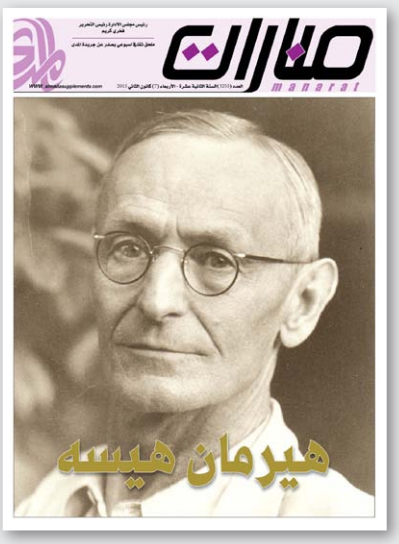

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

صارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

من اصدارات

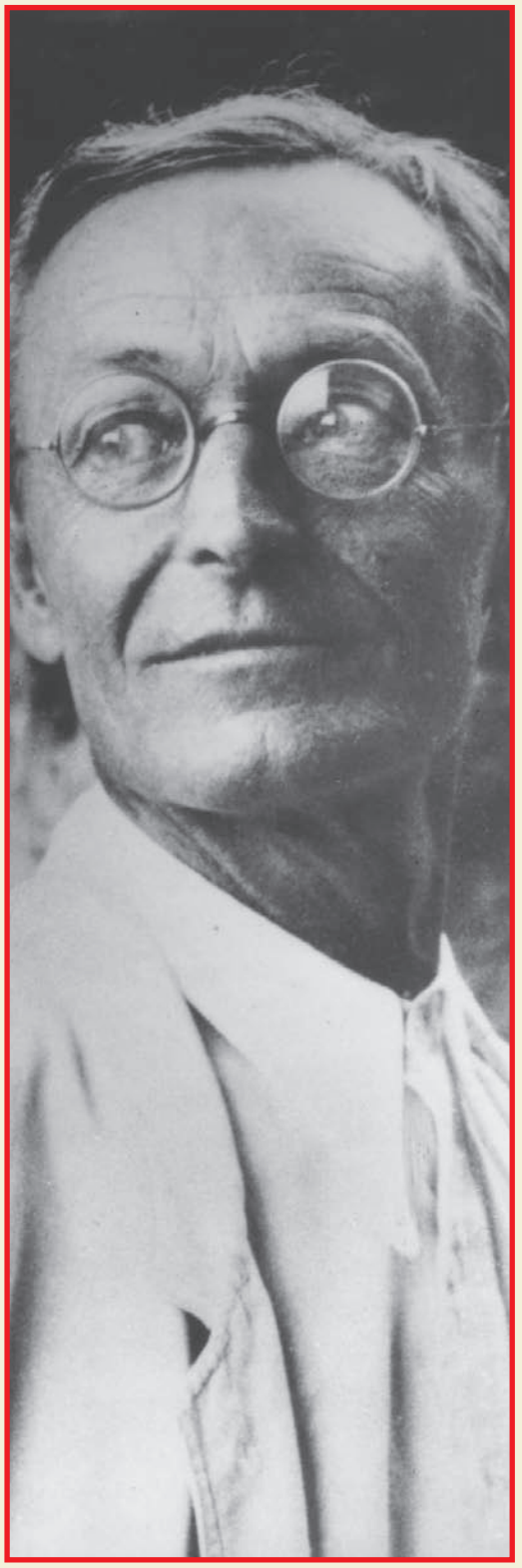

مكتبة نوبل
١٩٤٦
هرمان هسه
صيف كلِنْكسر الأخير
ترجمة: ستار سعيد زويني

هرمان هسه
روايات
٢
تحت العجلة
ترجمة نامق كامل

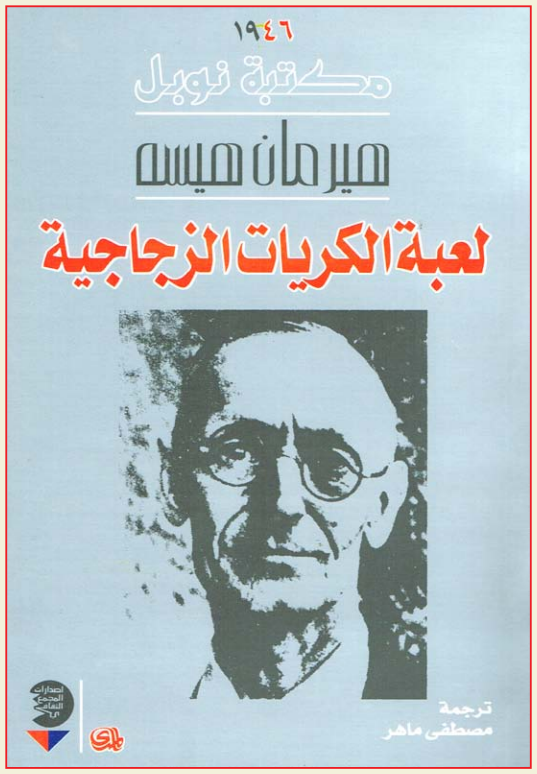
١٩٤٦
مكتبة نوبل
هيرمان هيسه
لعبة الكريات الزجاجية
ترجمة
مصطفى ماهر

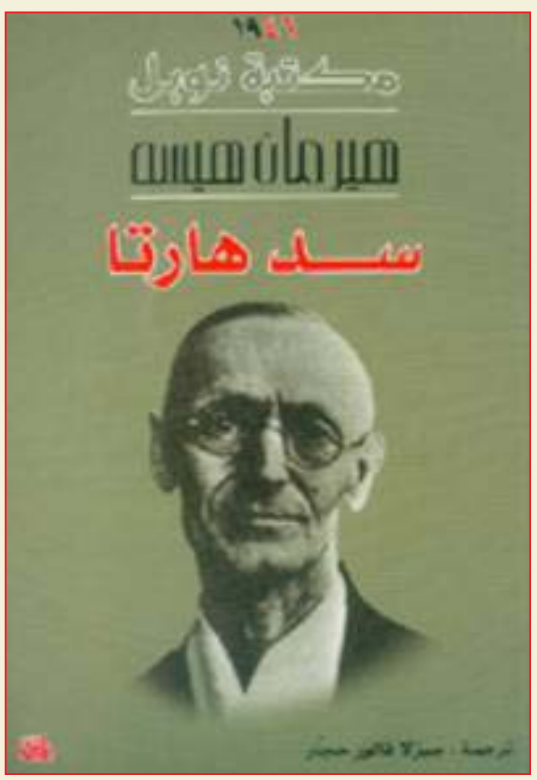
١٩٤٦
مكتبة نوبل
هيرمان هيسه
سد هارتا

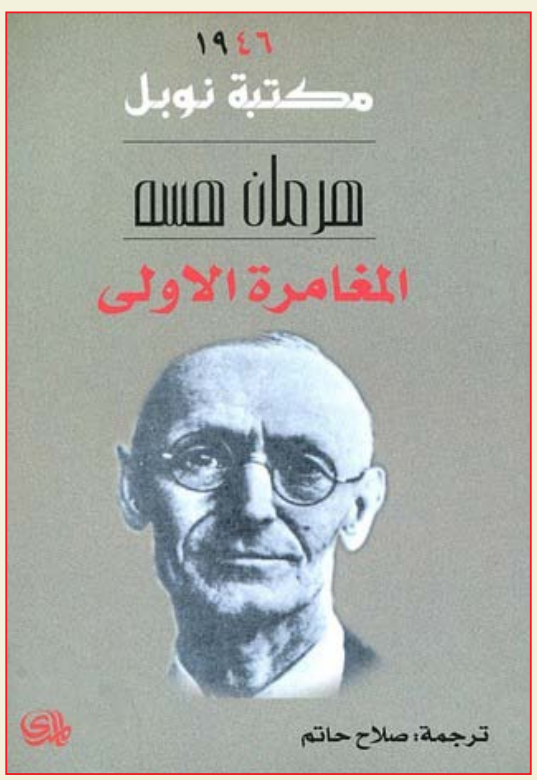
١٩٤٦
مكتبة نوبل
هرمان هسه
المغامرة الاولى
ترجمة: صلاح حاتم